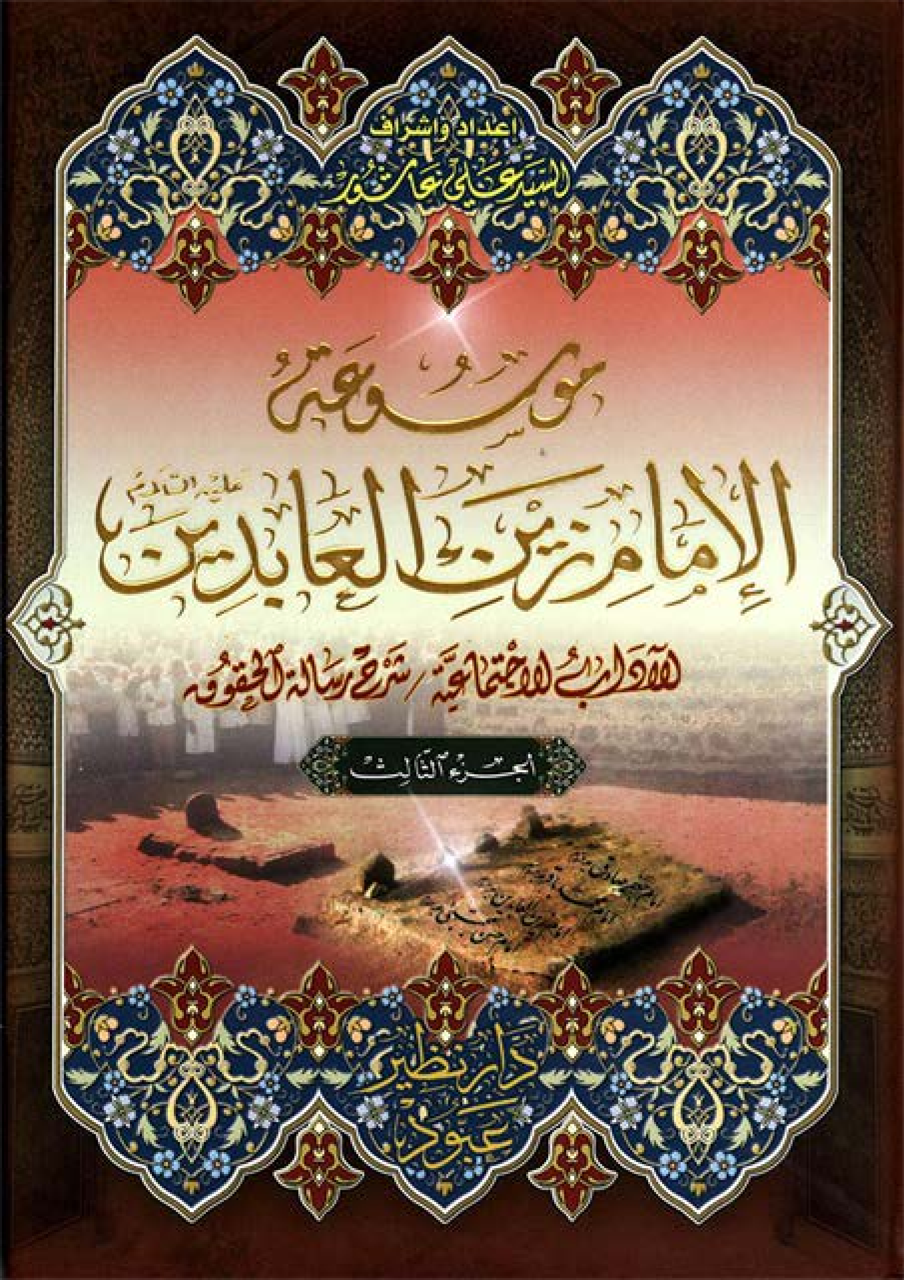

إعداد وإشراف
السيد علي عاشور
موسوعة
الإمام زين العابدين عليه السلام
الآداب الاجتماعية شرح رسالة الحقوق
الجزء الثالث
دار نظير عبود

موسوعة

الإمام زين العابدين عليه السلام

(٣)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

موسوعة

الإمام زين العابدين عليه السلام

الآداب الاجتماعية شرح رسالة الحقوق

جمع وإعداد

السيد علي عاشور



الجزء الثالث

دار نظير عبود

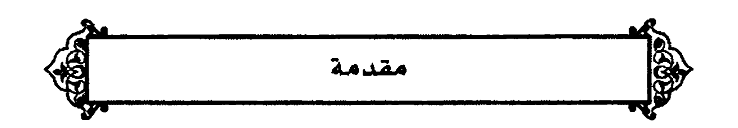
الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م



هاتف: ٠٣/٧٨٠٠٠٧ ـ ٠٩/٩٣٦٧٧٢ ـ بيروت لبنان





مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

«رسالة الحقوق» أو الدستور الإلهي لتنظيم حياة الإنسانيّة ورقيها وسعادتها في الدارين، هي مجموعة كلمات قالها إمامنا زين العابدين علي ابن الإمام الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهي من أروع ما قيل في هذا الجانب حيث نجد أن الإمام عليه السلام لم يدع ما يرتبط بالحياة الاجتماعية ـ العامة والخاصة ـ إلّا وتعرض له ووضع له قانوناً من مشى عليه وصل الى السعادة المطلقة.

والإمام علي بن الحسين عليه السلام هو رابع أئمة المسلمين امتاز بالعلم والعبادة والتقوى وعظيم الخُلق ويكفي في وصفه ما قاله الشاعر الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي أحمد المختار والده ... صلّى عليه إلهي ما جرى القلم
لو يعلم الركن من ذا جاء يلثمه ... لخرّ يلثم منه ما وطى القدم
هذا عليّ رسول الله والده أمست ... بنور هداه تهتدي الأمم
هذا الذي عمّه الطيار جعفر وال ... مقتول حمزة ليث حبّه قسم
هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة ... وابن الوصي الذي في سيفه سقم



إذا رأتــه قــريــش قــال قــائــلــهــا إلـى مـكـارم هـذا يـنـتـهـي الـكـرم
يـنـمـى إلـى ذروة الـعـزّ الـتـي قـصـرت عـن نـيـلـهـا عـرب الإسـلام والـعـجـم
يـكـاد يـمـسـكـه عـرفـان راحـتـه ركـن الـحـطـيـم إذا مـا جـاء يـسـتـلـم(١)

وحاولنا في هذا الكتاب تسليط الضوء على بعض فقرات رسالة الحقوق للإمام زين العابدين ﷺ وشرحها بما يتناسب مع الكتاب مراعين في ذلك الاختصار.

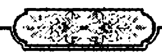
وركزنا على ذكر روايات أهل البيت ﷺالتي تناسب كل مقام يراد شرحه أو تبيين مطالبه.

نسأل الله أن ينفع به جَمْع من المؤمنين لننال شفاعة محمد وآل محمد ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

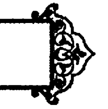


(١) انظر ينابيع المودة لذوي القربى: ٣/١٥٧، وفيات الأئمة: ١٥٦.





الحقوق إجمالاً



بسند عن الصدوق في أماليه: ابن موسى عن الأسدي عن البرمكي عن عبد الله ابن أحمد عن إسماعيل بن الفضل عن الثمالي عن سيد العابدين علي بن الحسين ﷺ قال: . . . . .

وبسند آخر: **علي بن أحمد بن موسى، عن محمد الأسدي، عن جعفر بن مالك الفزاري، عن خيران بن داهر، عن أحمد بن علي بن سليمان الجبلي، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن محمد بن فضيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: هذه رسالة علي بن الحسين ﷺ إلى بعض أصحابه** قال ﷺ:

أ ـ إعلم (رحمك الله) أن لله عزّ وجلّ عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة تحركتها أو سكنه سكنتها، أو حال حلتها أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت فيها[1] (بعضها أكبر من بعض) وأكبر حقوق الله تعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقه الذي هو أصل الحقوق (ومنه تفرع).

ب ـ ثم ما أوجب الله عزّ وجلّ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك، على اختلاف جوارحك، فجعل عزّ وجلّ للسانك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال.

جـ ـ ثم جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً: فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقوقاً.

ثم يخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق عليك فأوجبها عليك حقوق أئمتك ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك. فهذه حقوق يتشعب منها حقوق.

---

(١) في نسخة: بها.



د ـ فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك: حق سائسك بالسلطان، ثم حق سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك (وكل سائس إمام).

هـ ـ وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، ثم حق رعيتك بالملك، من الأزواج وما ملكت الأيمان.

و ـ وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة وأوجبها عليك: حق أمك ثم حق أبيك ثم حق ولدك ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى[١].

ز ـ ثم (حقوق الآخرين:) حق مولاك المنعم عليك ثم حق مولاك الجارية نعمته عليك، ثم حق ذوي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك لصلاتك، ثم حق إمامك في صلاتك ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك[٢] الذي يطالبك ثم حق خليطك ثم حق خصمك المدعي عليك ثم حق خصمك الذي تدعي عليه. ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك ثم حق الناصح لك ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل (أو مسرة) عن تعمد منه أو غير تعمد، ثم حق أهل ملتك عليك (عامة)، ثم حق أهل ذمتك.

حـ ـ ثم الحقوق الجارية[٣] بقدر علل الأحوال، وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله على ما أوجب عليه من حقوقه، ووفقه لذلك وسدده[٤].

هذه جملة الحقوق التي ذكرها الإمام علي بن الحسين ﷺ.

ومن ثم أخذ صلوات الله عليه بتفصيل كل حق حق فقال: .....

---

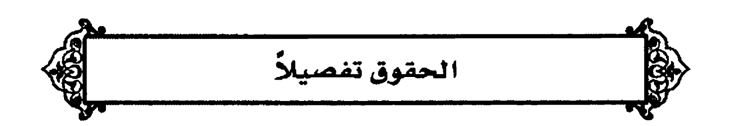
(١) في نسخة: والأول فالأول.

(٢) الغريم: الدائن، والغريم: المديون، ضد.

(٣) في نسخة: الحادثة.

(٤) انظر الخصال: ٥٦٦.





الحقوق تفصيلاً

قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام:

١ - حق الله تعالى

قال عليه السلام: فأما حق الله الأكبر عليك فأن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة (ويحفظ لك ما تحب منها)(١).

❁ العبادة

أول حق ذكره عليه السلام هو حق الله تعالى وسماه بالأكبر لعظمته، والحق الأعظم هو عبادة الله تعالى بما أوجبه علينا من تكاليف وهذه بعض أبحاث العبادة:

❁ العبادة عن معرفة

خلق الله تعالى المخلوقات من أجل عبادته فقال عزّ من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٢).

وقال سبحانه في الحديث القدسي: **كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف**(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام وقد سُئل: ندعو فلا يستجاب لنا فقال عليه السلام: **لأنكم تدعون من لا تعرفونه**(٤).

---

(١) من نسخة أخرى.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) شرح أصول الكافي: ١/ ٢٤.

(٤) التوحيد: ٢٨٨ باب ٤١ ح٧، وميزان الحكمة: ٢/ ٨٧٣ ح١١٩٧ باب شرائط الاستجابة.



فالدعاء أو الصلاة أو غيرها من العبادات إن كانت عن معرفة ويقين فإنها تؤدي الى إظهار ربوبية الله تعالى وهذا معنى حديث: (فخلقت الخلق لكي أعرف)، ومعنى قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

فالهدف من الخلقة في الحديث القدسي: (المعرفة)، والهدف في الآية: (العبادة)، والجمع بينهما: العبادة عن معرفة.

وسُئِل الإمام علي عليه السلام: هل رأيت ربك؟

فقال عليه السلام: كيف أعبد رباً لم أره![1].

قال الفيض الكاشاني في كتاب الكلمات المكنونة تحت عنوان: كلمة بها يجمع بين امتناع المعرفة والرؤية وبين إمكانهما: . . . إنّ ليوث غابة الولاية لا يكفّون عن مقولة «لم أعبد رباً لم أره» ويضعون أقدامهم في جادة «لو كُشف لي الغطاء ما ازددتُ يقيناً»[2].

أجل، ليس إلى كنه الحقيقة من سبيل، لأنّه محيط بكلّ شيء، ولا يصل المحاط إلى شيء، ولا يتحقّق إدراك ما من دون الإحاطة به، فإذن ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[3] . . .

كلّ ذلك صحيح ولكن كنه الحقيقة لها ـ باعتبار التجلّي في مظاهر الصفات ـ وجهٌ في كلّ موجود، ومظهر في كلّ مرآة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[4] «ولو أنكم أدليتم بحبل إلى الأرض السُفلى لهبط على الله»[5].

وهذا التجلّي حاصل للجميع، لكن الخواصّ وحدهم يعرفون ما يرون؛ ولهذا تراهم يقولون: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه»[6].

---

(١) انظر الأمالي: ٤٢٣.

(٢) منتهى المطلب: ٣/ ٤٤، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣١٧، أبو هريرة: ٨١.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٥) بحار الأنوار: ٥٥/ ١٠٧، سنن الترمذي: ٥، ٧٨.

(٦) اللمعة البيضاء: ١٦٩، تفسير الميزان: ٨/ ٢٦٣.



أمّا العوام فلا يعرفون ولا يعلمون ما يرون؛ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[٢].

قيل: يعني سأكحل عين بصيرتهم بنور توفيقي وهدايتي، ليشاهدوني في مظاهري الآفاقيّة والأنفسيّة، مشاهدة عيان حتّى يتبيّن لهم أنّه ليس في الآفاق ولا في الأنفس إلّا أنا وصفاتي وأسمائي، وأنا الأوّل والآخر والظاهر والباطن ثمّ أكّده بقوله (أولم يكف) على سبيل التعجبّ.

❁ أنواع العبادة

قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنّ) العُبّادَ ثلاثةٌ: قَومٌ عَبَدوا اللهَ عَزَّ وجلَّ خَوفاً فتِلكَ عِبادَةُ العَبيدِ، وَقَومٌ عَبَدوا اللهَ تَبارَكَ وتَعالى طَلَبَ الثَّوابِ فتِلكَ عِبادَةُ الأُجَراءِ، وقَومٌ عَبَدوا اللهَ عَزَّ وجلَّ حُبّاً لَهُ فَتِلكَ عِبادَةُ الأحرارِ، وهِيَ أفضَلُ العِبادَةِ[٣].

قال المجلسي: «العباد ثلاثة» في بعض النسخ هكذا فلا يحتاج إلى تقدير، وفي بعضها «العبادة» فيحتاج إلى تقدير إما في العبادة أي ذوو العبادة أو في الاقوام أي عبادة قوم، وحاصل المعنى أن العبادة الصحيحة المرتبة عليها الثواب والكرامة في الجملة ثلاثة أقسام، وأما غيرها كعبادة المرائين ونحوها، فليست بعبادة ولا داخلة في المقسم. «فتلك عبادة العبيد» إذ العابد فيها شبيه بالعبيد في أنه يطيع السيد خوفاً منه وتحرزاً من عقوبته.

«فتلك عبادة الأجراء» فإنهم يعبدون للثواب كما أن الأجير يعمل للأجر.

«حبا له» أي لكونه محباً له والمحب يطلب رضا المحبوب، أو يعبده ليصل إلى درجة المحبين، ويفوز بمحبة رب العالمين، والأول أظهر.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٤.
(٢) سورة حم سجدة، الآية: ٥٣.
(٣) الكافي: ٢/ ٨٤/ ٥.



«فتلك عبادة الأحرار» أي الذين تحرروا من رق الشهوات، وخلعوا من رقابهم طوق طاعة النفس الأمارة بالسوء، الطالبة للذات والشهوات، فهم لايقصدون في عبادتهم شيئاً سوى رضا عالم الأسرار، وتحصيل قرب الكريم الغفار، ولاينظرون إلى الجنة والنار، وكونها أفضل العبادة لا يخفى على أولي الأبصار، وفي صيغة التفضيل دلالة على أن كلا من الوجهين السابقين أيضاً عبادة صحيحة، ولها فضل في الجملة، فهو حجة على من قال ببطلان عبادة من قصد التحرز عن العقاب أو الفوز بالثواب[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **إنّ قوماً عَبَدوا اللهَ رَغبَةً فتِلكَ عِبادَةُ التُّجّارِ، وإنّ قوماً عَبَدوا اللهَ رَهبَةً فَتِلكَ عِبادَةُ العَبيدِ، وَإنّ قَوماً عَبَدوا اللهَ شُكراً فتِلكَ عِبادَةُ الأحرارِ**[2].

وقال الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام: **إنّي أكرَهُ أن أعبُدَ اللهَ ولا غَرَضَ لي إلّا ثَوابُهُ، فأكونَ كالعَبدِ الطَّمِعِ المُطَمَّعِ؛ إن طَمِعَ عَمِلَ وإلّا لَم يَعمَلْ، وأكرَهُ أن (لا) أعبُدَهُ إلّا لِخَوفِ عِقابِهِ، فأكونَ كالعَبدِ السُّوءِ؛ إن لَم يَخَفْ لَم يَعمَلْ.**

قيلَ: فَلِمَ تَعبُدُهُ؟

قال عليه السلام: لِما هُو أهلُهُ بِأيادِيهِ عَلَيَّ وإنعامِهِ[3].

من خلال معاشرة الناس ومحاكاتهم نجد هذه الاقسام فيهم فهناك كثير من الناس يلتزمون بالعبادات لما سمعه عن جنة الله وأنهارها وعسلها ولبنها أو لِمَ وصف له من الحور العين وجمالها، أو القصور والقناطير المقنطرة، أو تعداد أنواع الفواكه واللحوم والطيور، وبالواقع كلها مرغبات للعمل والسعي نحو نيلها ولكن المشكلة في النية، فهل النية العبادة قربة لله تعالى أم قربة من هذه الملذات؟!

ومن الناس في المقابل يعبدون الله نتيجة خوفهم من النار وسرابيل القطران والسلاسل والعقارب والأفاعي... وأنواع العذاب الذي أعده الله تعالى للعاصين، فعند ذلك يتوجه ليكون من المطيعين ونيته الهروب من هذا العذاب.

---

(١) البحار: ٧٠/٢٥٦ ح١٢، باب ٥٥ (العبادة والاختفاء فيها).

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢٣٧.

(٣) البحار: ٧٠/ ٢١٠/ ٣٣.



وهناك طائفة كثيراً ما سمعت عن نعيم الله تعالى وأنواع عذابه، سمعته عند تلاوتها للقرآن فجر كل صباح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(١). بل عاشته بكل وجودها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين: «فالمتقون فيها هم أهل الفضائل منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفه عين، شوقا إلى الثواب، وخوفاً من العقاب عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها».

وهذه الطائفة لم تحب ما عند الله من الملذات لذات الملذات بل لأنها نِعَم الله تعالى ولم تخف من أنواع العذاب إلّا لأنها عقاب الله تعالى، هي أحبة الباري وعشقته فعبدته حباً وشوقاً إلى لقائه فأبعدها عن العذاب وقربها من النِعَم.

وهذه الدرجة عالية قلّ سالكها وكثر متمنيها جعلنا الله منهم بحرمة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله.

قال الإمام الرضا عليه السلام: **لَو لَم يُخَوِّفِ اللهُ النّاسَ بِجَنّة ونار لَكانَ الواجِبُ أن يُطيعوهُ ولا يَعصُوهُ؛ لِتَفَضُّلِهِ علَيهِم وإحسانِهِ إلَيهِم وما بَدَاهُم بِهِ مِن إنعامِهِ الّذي ما استَحَقّوهُ**(٢).

❁ معنى أن الله أهلٌ للعبادة

إذا تأمل الإنسان نِعَم الله عليه سواء النِعم الكونية كتسخير الشمس والقمر والبحار والكواكب لخدمة الإنسان، أم النِعَم الشخصية كنعمة البصر والسمع والنطق والعقل والرزق والصحة والأمان والأولاد و... ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٣) فإن منعماً هذه نعمه وأياديه علينا أهلٌ أن يُعبَد.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.
(٢) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام: ٢/ ١٨٠/ ٤.
(٣) سورة حم سجدة (فصلت)، الآية: ٥٣.



فإن الإنسان منا لو كان له صديق فهداه هدية بسيطة لا تساوي قيمة إحدى العينين فإننا بالمقابل نقوم بشكره وتقديره واحترامه وزيارته لمدة أسبوع كامل، وهو لم يكرمنا إلا بشيء قليل، فكيف بمن نِعَمه ظاهرة وباطنه تحوطنا ليلاً ونهاراً ومن بِدْءِ خلقنا ونحن نطفة إلى أن أصبحنا في آخر العمر؟!

❁ العبادة عن حبّ وعشق

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ النّاسَ يَعبُدونَ اللهَ عَزَّ وجلَّ على ثَلاثةِ أوجُه: فطَبَقةٌ يَعبُدونَهُ رَغبَةً في ثَوابِهِ فتِلكَ عِبادَةُ الحُرَصاءِ وهُو الطَّمَعُ، وآخَرونَ يَعبُدونَهُ فَرَقاً مِنَ النّارِ فتِلكَ عِبادَةُ العَبيدِ وهِيَ الرَّهبَةُ، ولكنّي اعبُدُهُ حُبّاً لَهُ عَزَّ وجلَّ فتِلكَ عِبادَةُ الكِرامِ وَهُو الأمنُ؛ لِقَولِهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[١] ولِقَولِه عَزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾[٢]... فمَن أحَبَّ اللهَ أحَبَّهُ اللهُ عَزَّوجلَّ، وَمَن أحَبَّهُ اللهُ عَزَّ وجلَّ كانَ مِنَ الآمِنينَ[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضَلُ النّاسِ مَن عَشِقَ العِبادَةَ فَعانَقَها، وأحَبَّها بقَلبِهِ، وباشَرَها بِجَسَدِهِ، وتَفرَّغَ لَها، فَهُو لا يُبالي عَلى ما أصبَحَ مِنَ الدُّنيا: عَلى عُسر أم عَلى يُسر[٤].

وعنه صلى الله عليه وآله: كَفى بِالعِبادَةِ شُغلاً[٥].

قال العلامة المجلسي: عشق من باب تعب والاسم العشق، وهو الافراط في المحبة أي أحبها حباً مفرطاً من حيث كونه وسيلة إلى القرب الذي هو المطلوب الحقيقي، وربما يتوهم أن العشق مخصوص بمحبة الأمور الباطلة، فلا يستعمل في حبه سبحانه وما يتعلق به، وهذا يدل على خلافه وإن كان الأحوط عدم إطلاق الأسماء المشتقة منه على الله تعالى بل الفعل المشتق منه أيضاً بناء على التوقيف.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٣) الخصال: ١٨٨/ ٢٥٩.
(٤) الكافي: ٢/ ٨٣/ ٢ وح٣.
(٥) تحف العقول: ٣٥.



قيل: ذكرت الحكماء في كتبهم الطبية أن العشق ضرب من الماليخوليا والجنون والأمراض السوداوية، وقرروا في كتبهم الإلهية أنه من أعظم الكمالات والسعادات، وربما يظن أن بين الكلامين تخالفا، وهو من واهي الظنون، فإن المذموم هو العشق الجسماني الحيواني الشهواني، والممدوح هو الروحاني الإنساني النفساني، والأول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال، والثاني يبقى ويستمر أبد الآباد وعلى كل حال.

قوله: «على ما أصبح» أي على أي حال دخل في الصباح أو صار «أم على يسر» فيه دلالة على أن اليسر والمال لاينافي حبه تعالى وحب عبادته، وتفريغ القلب عن غيرها لأجلها، وإنما المنافي له تعلق القلب به.

واعلم أن عشق العبادة هو حبها وانتظارها مع التّهيء لها وفعل مايترتب عليها، والميزان فى ذلك أن العابد إذا شغل عن العبادة بعمل مهم أو واجب أخر اجتماعي فماذا يفعل، هل يتحرق شوقاً للذهاب الى عبادته ويتحسر على تركها أو تأخيرها أم أنه يحدث نفسه بأن هناك متسع من الوقت لأداء هذه العبادة؟ وهل ينتظر عبادته وكله شوق للدخول بها؟ أم أنه يدخل كسلاناً متثاقلاً؟

وهل يحب الإكثار من هذه العبادة أم يحب أن يختصرها أو أن ترفع عنه؟

نعم لا يعني عشق العبادة والتفرغ لها ترك العمل والسعي في حوائج العباد خاصة واجبي النفقة، لوضوح أن هذا السعي إذا كان في الطريق الحلال فهو عبادة واجبة من أجل تلبية حاجات عياله، لذا على المؤمن الفطن الورع أن يوازن بين هذة العبادة المهمة وبين الالتزام ببقية العبادات المقربة الى الله تعالى مقدماً لما قدمه الله ومؤخراً ما أخّره الله تعالى.

۞ علة وحِكمةُ العِبادةِ

قال الإمام الرضا ﷺ ـ في بَيانِ عِلّةِ العِبادَةِ ـ: لِئَلّا يَكونوا ناسِينَ لِذِكرِهِ، ولا تارِكينَ لأدبِهِ، ولا لاهِينَ عَن أمرِهِ وَنَهيِهِ، إذا كانَ فيهِ صَلاحُهُم وقِوامُهُم، فَلَو تُرِكوا بغَيرِ تَعَبُّد لَطالَ عَلَيهِمُ الأمَدُ فَقَسَت قُلوبهم[(١)].

(١) انظر بحار الأنوار: ٦/ ٨٣.



إنّ التكاليف الإلهية والاحكام الشرعية ـ والتي تسمى العبادة ـ يعود نفعها وفائدتها على الإنسان نفسه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وهذا الحديث الشريف يشير الى ذلك فإن ترك عبادة الله تعالى يؤدي الى قساوة القلب وقساوة القلب تؤدي الى العداوة والبغضاء والكره والقتل والظلم وما إلى ذلك، هذا في الدنيا وهو خسارة تعود على نفس الشخص وعائلته ومجتمعه، وهذا معنى قوله ﷺ: كان فيهم صلاحهم وقوامهم.

وكذلك في عالم الآخرة فإنه يحرم من لقاء الله وقربه وجنّاته ونعيمه التي لا يدخلها إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما علة العبادة، فذكرنا سابقاً أن علة إيجاد الخلق هو العبادة، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ وأما علة هذه العبادة فهي من جهة تعرّفنا على الله تعالى وعظمته وقدرته وجميل نعمه علينا، ومن جهة أخرى تعطينا الأنس بذكر الله تعالى وتسبيحه والتأدب بأدبه والعيش تحت ظلة ورحمته وفي كنفه وضمن منظومته التي كلها بركة وتسديد، وهذا كما ترى عزيزي القارئ فائدته تعود علينا وحسنه يطيب عيشنا، فتبارك من إله ما أعظمه وأرحمه بعباده، وما أشدّ عنايته بخلقه وتلطفه بهم، هكذا تكون الآلهة التي تستحق أن تُعبد، لا ما يشرك به الجاهلون.

٢ ـ حق النفس

قال ﷺ: وحق نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عزّ وجل[2] فتؤدي إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه، وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقها، وإلى رِجلك حقها، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك.

إنّ لنفس الإنسان حق مهم وهو ما أدى بها إلى الطاعة وما أبعدها عن المعصية

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٢) في نسخة: وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله.



فقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(١) فالذي يؤدي بالنفس إلى طاعة ربها هو تهذيب النفس ومحاسبتها على الأعمال السيئة ومراقبة كافة التصرفات، وقد وردت الروايات في الحث على التهذيب هذا طرف منها:

❁ تهذيب النفس

قال أمير المؤمنين عليه السلام: مَن نَصَبَ نَفسَهُ للنّاسِ إماماً فليَبدأ بتَعليمِ نَفسِهِ قَبلَ تَعليمِ غَيرِهِ، وليَكُن تأديبُهُ بسِيرَتِهِ قَبلَ تأديبِهِ بلِسانِهِ، ومُعَلِّمُ نَفسِهِ ومُؤدِّبُها أحَقُّ بالإجلالِ من مُعَلِّمِ النّاسِ ومُؤدِّبِهِم.

وعنه عليه السلام: أيُّها النّاسُ، تَولَّوا مِن أنفسِكُم تأديبَها، واعدِلوا بِها عَن ضَراوَةِ عاداتِها(٢).

عنه عليه السلام: اشتِغالُكَ بِمَعايِبِ نَفسِكَ يَكفيكَ العارَ(٣).

عنه عليه السلام: الاشتِغالُ بتَهذيبِ النَّفسِ أصلَحُ.

عنه عليه السلام: خَيرُ النُّفوسِ أزكاها.

عنه عليه السلام: ذروَةُ الغاياتِ لا يَنالُها إلّا ذَوُو التَّهذيبِ والمُجاهَداتِ.

عنه عليه السلام: سِياسَةُ النَّفسِ أفضَلُ سِياسَة.

عنه عليه السلام: كلَّما ازدادَ عِلمُ الرّجُلِ زادَت عِنايَتُهُ بنَفسِهِ، وبَذَلَ في رياضَتِها وصَلاحِها جُهدَهُ.

عنه عليه السلام: المَرءُ حيثُ وَضَعَ نفسَهُ برياضَتِهِ وطاعَتِهِ؛ فإن نَزَّهَها تَنزَّهَت، وإن دَنَّسَها تَدَنَّسَت.

عنه عليه السلام: الرّجُلُ حيثُ اختارَ لنَفسِهِ؛ إن صانَها ارتَفَعَت، وإنِ ابتَذَلَها اتَّضَعَت.

عنه عليه السلام: قُلوبُ العِبادِ الطّاهِرَةُ مَواضِعُ نَظَرِ اللهِ سبحانَهُ، فمَن طَهَّرَ قَلبَهُ نَظَرَ إلَيهِ.

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٧ ـ ١٠.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٧٣ و٣٥٩.

(٣) غرر الحكم: ١٤٨٣.



عنه ﷺ: النَّزاهَةُ مِن شِيَمِ النُّفوسِ الطّاهِرَةِ[1].

هذه جملة من الروايات شجّعت السالك على تهذيب النفس للوصول إلى مرضاة الله تعالى والابتعاد عن معصيته.

❁ نعمة أعضاء الإنسان

قال حبيب الله الخوئي في شرح النهج: قوله ﷺ: (أحمد، على نعمه التوام وآلائه العظام) أي على نعمه المترادفة المتواترة التي لا فترة بينها كالتوأمين من الأولاد يجيء أحدهما على الآخر، وعلى آلائه العظيمة التي يعجز عن معرفتها العقول ويحصر عن إحصائها اللسان ويقصر عن وصفها المنطق والبيان، وإن شئت أن تعرف نموذجاً من نِعَم الله سبحانه عليك فلنقتصر على نِعْمة الأكل التي بها قوام بدن الإنسان ونشير إلى جملة من الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل.

فنقول: إن الأكل فعل من الأفعال وكلّ فعل فهو حركة والحركة لا بدّ لها من جسم متحرّك هو آلتها، ولا بدّ لها من قدرة على الحركة، وإرادة محرّكة له فلنذكر الأعضاء الّتي لها مدخلية في الأكل ليقاس عليها غيرها.

فنقول: إذا رأيت الطعام من بعد واشتهيت أكله فلا بدّ لك من الحركة إليه، وحركتك لا تنفع ما لم تتمكن من أخذه فافتقرت إلى آلة باطشة فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان مشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتدّ وتثني إليك، فلا تكون كخشبة منصوبة، ثمّ جعل رأس اليد عريضاً بخلق الكف، ثمّ قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الأصابع، وجعلها في صفين ليكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية، ولو كانت جميعها في صف واحد لم يحصل بها تمام الغرض، فوضعها بحيث إن بسطتها كانت لك مجرفة، وإن ضممتها كانت مغرفة، وإن جمعتها كانت آلة للضرب، وإن نشرتها ثمّ قبضتها كانت لك آلة في القبض.

ثمّ خلق لها أظفار لتصون رؤوس الأصابع من التفتت ولتلتقط بها الأشياء الدقيقة الّتي لا تحويها الأصابع فتأخذها برؤوس أظفارك.

---

(١) غرر الحكم: ١٣١٩، ٤٩٨٠، ٥١٩٠، ٥٥٨٩، ٧٢٠٤، ١٩٠٥، ١٩٠٦، ٦٧٧٧، ١٤٣٤.



وذكر عليه السلام جملة من حقوق من قام بعتق العبيد لا حاجة لشرحها أو التعليق عليها لعدم الحاجة إليها الآن.

٢٧ ـ حق المولى

قال عليه السلام: وأما حق مولاك الذي أنعمت عليه[١] فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ جعل عتقك له وسيلة إليه وحجاباً لك من النار، (وجعلك حامية عليه، وواقيةً وناصراً ومعقلاً وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه، فبالحري أن يحجبك عن النار، فيكون في ذلك ثوابك منه في الآجل (الجنة)[٢] ويحكم لك بميراثه في العاجل[٣] ـ إذا لم يكن له رحم ـ مكافاةً لما أنفقته[٤] من مالك عليه وقمت به من حقه بعد إنفاق مالك، فإن لم تخفه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه، ولا قوة إلا بالله تعالى)[٥].

بعد أن ذكر الإمام زين العابدين عليه السلام حقوق المنعم بالولاء ومن قام بعتق نسمة من خلق الله قام صلوات الله تعالى عليه ببيان حقوق هذه النسمة التي عُتقت وأُخرجت من العبودية إلى الحرية.

فذكر عليه السلام ثواب من أعتق في الإسلام رقبة مؤمنة واستحباب تلطفه بالمولى المعتق ومعاملته معاملة حسنة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أهل البيت عليهم السلام خاصة الضعفاء منهم.

وقلنا سابقاً لا داعي للتفصيل هنا لعدم الحاجة إلى العتق في هذه الأزمنة، نعم تقدم ما يوضح حسن المعاشرة وكيفيتها.

---

(١) في نسخة: وأما حق مولاك الجارية عليه نعمتك.
(٢) من النسخة الأولى.
(٣) في النسخة الأولى: وأن ثوابك في العاجل ميراثه.
(٤) في النسخة الأولى: بما أنفقت.
(٥) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.



٢٨ ـ حق صاحب المعروف

قال ﷺ: وأما حق ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه، وتكسبه[١] المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية، ثم إن قدرت على[٢] مكافأته بالفعل يوماً كافأته (وإلا كنت مُرْصدا له مُوطّنا نفسك عليها)[٣].

المعروف هو الشيء الحسن والجميل والمفرح الذي يقوم به الإنسان في حياته لشخص آخر. وهو من المستحبات الأكيدة وله آثار مهمة فصّلناها في كتاب «معاجز الصدقة وآثارها» وقام الإمام زين العابدين ﷺ هنا بذكر حقوق صاحب المعروف من قبل المستفيد منه وذكر خمسة أمور:

١ ـ شكر صاحب المعروف وسيأتي توضيحه.

٢ ـ ذكر المعروف الذي فعله أي تذكره وعدم نسيانه وتجاهله.

٣ ـ نشر المقالة الحسنة والكلام الجميل في مدح صاحب المعروف، بمعنى ذكره بالخير أمام الناس والدفاع عنه عند استغابته أو أذيته.

ونشر المقالة عبارة عن الحالة الإعلامية التي لها أثر في المجتمع على المعروف وصانعيه، فإن الناس عندما تسمع أن فلاناً فعل هذا المعروف أو قام بالفعل الحَسن والصدقة الجارية فإنها تتشجع على فعل المعروف، فتكون المقالة الحسنة سبباً في صنع المعروف والصدقات والخدمات الاجتماعية.

٤ ـ الدعاء من قِبَل الفقير إلى صاحب المعروف.

٥ ـ ردّ المعروف إليه عند القدرة: فإن الدنيا دولاب، فقد تتغير أحوال الناس وتتبدل أوضاعهم فالغني يصبح فقيراً أو محتاجاً، والفقير يصبح غنياً، فإن تغيرت الأحوال فعلى المستفيد من المعروف أو الفقير السابق أن يردّ المعروف ولا ينسى

(١) في نسخة: وتنشر به.
(٢) في نسخة: أمكنك.
(٣) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.



صاحبه الذي لم ينسه يوم من الأيام وقام بالتصدق عليه أو سدّ حاجته أو تفريج همه أو إدخال السرور عليه وعلى أولاده.

❁ صنائع المعروف وثوابها

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ أَفْضَلَ ما تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ الإِيْمانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ... وصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ، وصَدَقَةُ الْعَلانِيَةِ فَإِنَّها تَدْفَعُ مَيْتَةَ السُّوءِ، وصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّها تَقِي مَصارِعَ الْهَوانِ.

قال شارح النهج قوله عليه السلام: (صنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان) المعروف اسم لكلّ فعل يعرف حُسنه بالعقل والشرع كالإحسان والبرّ والصلة والصدّقة على الناس والرفق معهم وسائر أعمال الخير، واصطناع المعروف لما كان مستلزماً لتأليف قلوب الخلق وجامعاً لهم على محبة المصطنع لا جرم كان وقايةً له، والنّاس يتقون قتله ويجتنبون عن فعل ما يوجب الهوان به وذلته، وهو ظاهر.

ونظير هذا الكلام ما رواه عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عن آبائهم عليهم السلام قال عليه السلام: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»[1].

وروى عبد الله بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن صنائع المعروف تدفع مصارع السّوء»[2].

وهذا من جملة خواصّه في الدّنيا ومنها أيضاً زيادة البركة.

روى السّكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن البركة أسرع إلى البيت الذي يمتار منه[3] المعروف من الشفرة إلى سنام البعير أو من السّيل إلى منتهاه»[4].

وأمّا ثمراته الأخروية فكثيرة أشيرت إليها في أخبار متفرقة ففي «الفقيه» قال رسول

---

(١) تحف العقول: ٥٦.

(٢) وسائل ١٦/ ٢٨٧ ح٢١٥٦٥.

(٣) في نسخة: فيه.

(٤) الكافي: ٤/ ٢٧ ح٤، والخصال: ١٣٤ ح١٤٥.



الله ﷺ: «أوّل من يدخل الجنة المعروف وأهله وأوّل من يرد عليّ الحوض»، وقال: «أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وتفسيره أنه إذا كان يوم القيامة قيل لهم هَبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنة».

وقال: «كلّ معروف صدقة والدّال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان»[١].

وقال الصّادق ﷺ: «أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل ذلك إلى رسول الله».

وقال: «المعروف شيء سوى الزّكاة فتقربوا إلى الله عزّ وجلّ بالبر وصلة الرّحم».

وقال ﷺ: «رأيت المعروف كإسمه وليس شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه، وذلك يراد منه، وليس كلّ من يحبّ أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه وليس كلّ من يرغب فيه يقدر عليه ولا كل من يقدر عليه يوزن له فيه فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والاذن فهنالك تمت السّعادة للطالب والمطلوب إليه».

وقال الصّادق ﷺ أيضاً: «رأيت المعروف لا يصلح إلّا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله فإنّك إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمّمته، وإذا عجلته هنّأته، وان كان غير ذلك محقته ونكدته»، ورواه في «الكافي» بإسناده عنه نحوه، وهو إشارة إلى بعض آداب صنع المعروف[٢].

ومن جملتها أيضاً ما أشير إليه في رواية مفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله ﷺ: «يا مفضل إذا أردت أن تعلم إلى خير يصير الرجل أم إلى شرّ انظر إلى أين يضع معروفه، فإن كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير، وان كان يضع معروفه عنه غير أهله فاعلم أنّه ليس له في الآخرة من خلاق»[٣].

❁ خدمة الناس وقضاء حوائجهم

قال أبو الحسن ﷺ: «إنّ لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس، هم

(١) الخصال: ١٣٣ ح١٤٣، ومكارم الأخلاق: ١٣٦.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٨٦، ووسائل الشيعة: ١٦/ ٣٠٠ ح. ٢١٦٠٠،

(٣) الكافي: ٤/ ٣١ ح٢ باب وضع المعروف.



الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرّح(١) الله قلبه يوم القيامة»(٢).

وقا الصادق ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: الخلق عيالي فأحبّهم إليّ ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم»(٣).

وقال صلوات الله عليه: «مَن سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله عزّ وجلّ كتب الله له ألف ألف حسنة، يغفر فيها لأقاربه وجيرانه، وإخوانه ومعارفه، ومَن صنع إليه معروفاً في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل له: ادخل النار فمن وجدته فيها صنع إليك معروفاً في الدنيا فَأَخْرِجْهُ بإذن الله عزّ وجلّ إلّا أن يكون ناصباً»(٤).

وقال ﷺ: «صدقة يحبّها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقاربٌ بينهم إذا تباعدوا».

وهذه خدمة جليلة أثرها على كلّ إنسان وعلى المجتمع لرقيّه وازدهاره، بقلّة المشاكل ورفع الخلافات»(٥).

وعن الأسدي، قال: خرجتُ ذات سنة حاجّاً، فانصرفت إلى أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد ﷺ، فقال: من أين بكَ يا مشمعل؟

فقلت: جُعلتُ فداك، كنت حاجّاً.

فقال ﷺ: أوتدري ما للحاج من الثواب؟

فقلت: ما أدري حتّى تعلّمني.

فقال ﷺ: إنّ العبد إذا طاف بهذا البيت أُسبوعاً، وصلّى ركعتيه، وسعى بين الصفا والمروة، كتب الله له ستّة آلاف حسنة، وحطّ عنه ستّة آلاف سيّئة، ورفع له ستّة آلاف درجة، وقضى له ستّة آلاف حاجة للدنيا كذا، وادّخر له للآخرة كذا.

(١) في بعض النسخ: فرّج.
(٢) الكافي: ٢/١٩٧، ح٢.
(٣) الكافي: ٢/١٩٩، ح١٠.
(٤) الكافي: ٢/١٩٧، ح٦.
(٥) الكافي: ٢/٢٠٩، ح١.



فقلتُ له: جُعلتُ فداك إنّ هذا لكثير!

قال عليه السلام: أفلا أُخبركَ بما هو أكثر من ذلك؟

قال: قلت: بلى.

فقال عليه السلام: لقضاء حاجة أمرئ مؤمن أفضل من حجّة وحجّة وحجّة، حتّى عدّ عشر حجج[١].

وعن إسماعيل بن عمّار الصيرفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلتُ فداكَ المؤمن رحمة على المؤمن؟

قال: نعم.

قلت: وكيف ذاك؟

قال عليه السلام: أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنّما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسبّبها له، فإنْ قضى حاجته، كان قد قبل الرحمة بقبولها وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها، فإنّما ردّ عن نفسه رحمة الله عزّ وجلّ ساقها إليه وسبّبها له وذخر الله عزّ وجلّ تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتّى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلى نفسه، وإن شاء صرفها إلى غيره.

يا إسماعيل فإذا كان يوم القيامة ـ وهو الحاكم في رحمة من الله قد شرعت له ـ فإلى مَن ترى يصرفها؟

قلت: لا أظنّ يصرفها عن نفسه.

قال: لا تظن ولكن استيقن فإنّه لن يردّها عن نفسه.

يا إسماعيل مَن أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلّط عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذّباً[٢].

(١) أمالي الصدوق: ٥٨١، ح٨٠١، والبحار: ٧٤/ ٢٨٤.
(٢) الكافي: ٢/ ١٩٣، ح٥.



❁ ترك خدمة الناس وأثره

قال أبو عبد الله عليه السلام: «تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله، فإنّ للجنّة باباً يقال له: المعروف، لا يدخله إلّا مَن أصطنع المعروف في الحياة الدنيا، فإنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عزّ وجلّ به مَلَكين: واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته.

ثمّ قال: والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسرُّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة»(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أيُّما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة وهو يقدر على قضائها فمنعه إيّاها عيّره الله يوم القيامة تعييراً شديداً، وقال له: أتاكَ [أخوك] في حاجة قد جعلتُ قضاها في يدكَ فمنعته إيّاها زهداً منكَ في ثوابها، وعزّتي لا أنظر إليكَ في حاجة معذَّباً كنت أو مغفوراً لكَ»(٢).

وقال عليه السلام: «أيُّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله عزّ وجلّ يوم القيامة مسوّداً وجهه، مزرّقة عيناه، مغلولة يداه إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثمّ يؤمر به إلى النار»(٣).

أقول: تشديد الروايات في عقاب أو عتاب التارك لخدمة المؤمنين بسبب حرمة المؤمن على الله تعالى، خاصّة أنّه وردت روايات تصف المؤمن بأنّه رحمة فإذا قصد أخاه في حاجة فهي رحمة من الله ساقها إليه، فإن خَدَمَه يكون قد قبل رحمة الله تعالى وإن رَدَّه يكون قد حرم نفسه من رحمة الله تعالى، ومَن منع رحمة الله تعالى يستحقّ عتاباً شديداً.

❁ القرين الصالح نتيجة المعروف

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول له: أبشر بالكرامة من الله والسرور، فيقول له: بشّركَ الله بالخير.

---

(١) الكافي: ٢/ ١٩٥، ح١٠.
(٢) البحار: ٧٥/ ١٧٣، ح١.
(٣) البحار: ٧٥/ ١٧٤، ح٤.



قال عليه السلام: ثمّ يمضي معه يبشّره بمثل ما قال، وإذا مرّ بهول قال: ليس هذا لكَ وإذا مرّ بخير قال هذا لكَ، فلا يزال معه يؤمنه ممّا يخاف ويبشّره بما يحبّ حتّى يقف معه بين يدي الله عزّ وجلّ، فإذا أمر به إلى الجنّة قال له المثال: أبشر فإنّ الله عزّ وجلّ قد أمر بكَ إلى الجنّة.

قال: فيقول: مَن أنت رحمكَ الله تبشّرني من حين خرجت من قبري وآنستني في طريقي وخبّرتني عن ربّي؟

قال: فيقول: أنا السرور الذي كنت تدخله على إخوانكَ في الدنيا، خلقت منه لأبشّركَ وأونس وحشتكَ[1].

ما أهون إدخال السرور على الإخوان وما أعظم أثره، ببشاشتكَ بوجه أخيكَ، وحسن لقائه بالتحيّة والسلام والمصافحة، أو بقضاء حاجته مادّية كانت أم إسداء خدمة له، قد لا تكلّفكَ إلّا الذهاب معه أو مساعدته أو الاتّصال من تلفونكَ إلى مكان حاجته، ببعض ذلك تنال أيُّها الإنسان قريناً ومثالاً يؤنسكَ عند الوحشة حين لا مؤنس، ويدلّكَ على الطريق إلى الجنّة حين لا دال، يكلّمكَ ويسلّيكَ حين لا يتعرّف عليكَ أحد: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[2].

قال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعة من بني تميم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فدخلت وعنده الصلصال بن الدلهمس فقلت: يانبي الله عظنا موعظة ننتفع بها، فإنّا قوم نعمّر في البريّة.

فقال صلى الله عليه وآله: «يا قيس إنّ مع العزّ ذلّاً، وإن مع الحياة موتاً، وإنّ مع الدنيا آخرة، وإن لكلّ شيء حسيباً، وعلى كلّ شيء رقيباً، وإنّ لكلّ حسنة ثواباً، ولكلّ سيّئة عقاباً، ولكلّ أجل كتاباً.

وإنّه لا بدّ لك ـ يا قيس ـ من قرين يُدفن معكَ وهو حيّ، وتُدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمكَ، وإن كان لئيماً أسلمكَ، ثمّ لا يحشر إلّا معكَ، ولا تبعث إلّا معه، ولا تُسأل إلّا عنه، فلا تجعله إلّا صالحاً، فإنّه إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلّا منه، وهو فعلكَ»[3].

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ١٩١، ح١٠. (٢) عبس: ٣٤ ـ ٣٧.
(٣) أمالي الصدوق: ٥٠.



وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «مَن أدخل على مؤمن سروراً [أو فرحاً] خلق الله من ذلك السرور خلقاً يدفع به عنه الآفات في دار الدنيا[1] فيلقاه عند موته فيقول له: إبشر يا وليّ الله بكرامة من الله ورضوانه، ثمّ لا يزال معه حتّى يدخله قبره فيقول له مثل ذلك، فإذا بعث تلقّاه فيقول له مثل ذلك، ثمّ لا يزال معه عند كلّ هول يُبشّره ويقول له مثل ذلك، فيقول له: مَن أنت يرحمكَ الله؟

فيقول: أنا السرور الذي أدخلته على فلان»[2].

❁ أثر إدخال السرور

قال أمير المؤمنين ﷺ: «يا كميل مُرْ أهلكَ أن يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا[3] في حاجة مَن هو نائم، فوالذي وَسِعَ سَمْعُه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلّا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة[4] جرى إليها كالماء في انحداره حتّى يَطْرُدها عنه كما تُطْرد غريبة الإبل»[5].

هذا أثر مَن يلتزم بوصايا أهل بيت النبوّة ﷺ، سرور لرسول الله ﷺ وجنّة عرضها السماوات والأرض، وتسديد في الدنيا، ونجاة من البلاءات والمصائب، كلّ ذلك لقاء فعل المعروف وخدمة الإخوان وإدخال السرور على قلوبهم ولو بكلمة حسنة أو بشقّ تمرة.

ولمن أراد مزيد بيان وتفصيل عن آثار المعروف والصدقات (في الدنيا والآخرة) فليرجع إلى كتاب «معاجز الصدقة وآثارها».

جعلنا الله تعالى من المتمسّكين بعترة النبيّ محمّد ﷺ ووصاياهم.

---

(١) زيادة عن كنز العمّال: ٦/ ٤٣٢، ح١٦٤١٢، رواه عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ.
(٢) الوسائل: ١٦/ ٣٥١.
(٣) الرواح: السير من بعد الظهر، والادلاج: السير من أوّل الليل.
(٤) النائبة: المصيبة والبلاء.
(٥) نهج البلاغة: ٥١٣، الحكمة ٢٥٧.



٢٩ ـ حق المؤذن

قال ﷺ: وحق المؤذن أن تعلم أنه مذكرك بربك عزّ وجلّ، وداع لك[١] إلى حظك وعونك على قضاء فرض الله عليك، (وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك) فاشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك (وإن كنت في بيتك مهتماً[٢] لذلك لم تكن لله في أمره متّهما، وعلمت أنه نعمة من الله عليك لا شك فيها فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال. ولا قوة إلا بالله تعالى)[٣].

المؤذن هو الشخص الذي يقوم بمراقبة أوقات الصلاة والاهتمام بها ورعايتها ثم عند كل وقت صلاة يقوم برفع صوته وقراءة فقرات الأذان الشرعي وهو:

- الله أكبر، ٤ مرات.
- أشهد أن لا إله إلا الله، مرتين..
- أشهد أن محمداً رسول الله، مرتين..
- أشهد أن عليا ولي الله، مرتين
- حي على الصلاة، مرتين..
- حي على الفلاح مرتين..
- حي على خير العمل، مرتين...
- الله أكبر، مرتين....
- لا إله إلا الله، مرتين ...

ويستحب للإنسان قبل كل صلاة أن يقوم بذكر الأذان ثم بعده الإقامة وهي نفس الأذان مع فارق بسيط، وهو أن «الله أكبر» مرتين لا أربع، و«لا إله إلا الله» مرة واحدة.. ويضاف: قد قامت الصلاة.. مرتين بعد: حي على خير العمل.

---

(١) في نسخة: وداعيك.
(٢) في بعض المصادر: متهماً.
(٣) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.



وذكر الإمام عليه السلام أن المؤذن يعتبر صاحب فائدة في المجتمع على الناس وذكر عليه السلام أمور:

١ ـ المذكر بالله تعالى: حيث يكون الإنسان في عمله أو لهوه فعندما يسمع الأذان يتذكر الله تعالى ويذكره وفيه ثواب.

٢ ـ الداعي لنا إلى الصلاة: لأنه عندما يقول: حي على الصلاة، غالباً ما يتوجه الإنسان إلى مصلاه.

٣ ـ المعين لنا على أداء الفريضة: وذلك لأنه أولاً يوفر علينا الأذان، ثانياً يجعلنا نصلي الصلاة في أول وقتها.

٤ ـ المنعم علينا كما سنذكر.

ثم ختم عليه السلام أن المنعم يشكر فينبغي شكر المؤذن وذلك باحترامه وتقديره ومصاحبته ومجالسته والدعاء له وتقديم المساعدة المالية له كهدية وشكر له على ما يقوم به من خدمات مهمة تجعلنا نتقرب إلى الله تعالى كما ذكرنا.

وأشار عليه السلام إلى أن وجود المؤذن والمذكّر لنا لله ومذكرنا بالصلاة والفريضة نعمة من نِعَم الله تعالى علينا ولكي تبقى هذه النعمة فعلينا شكر الله عليها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١] وذكر صلوات الله عليه أنّ شكر الله هو عبارة عن مصاحبتنا للمؤذن واحترامه وتقديره فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الله كما قال الإمام الصادق عليه السلام: من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق[٢].

٣٠ ـ حق إمام الجماعة

وحق إمامك في صلاتك فأن تعلم أنه تقلد السفارة فيما بينك وبين ربك عزّ وجلّ (والوفادة إلى ربك) وتكلم عنك ولم تتكلم عنه ودعا لك ولم تدع له، (وطلب فيك ولم تطلب فيه) وكفاك هول[٣] المقام بين يدي الله عزّ وجلّ، (والمسألة له فيك ولم تكفه

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٢/ ١٤٩٢، باب ـ تفسير الشكر ـ.

(٣) في نسخة: هم.



ذلك) فإن كان نقص كان به دونك[1]، وإن كان تماماً كنت شريكه، (وإن كان آثما لم تكن شريكه فيه) ولم يكن له عليك فضل، فوقى نفسك بنفسه وصلاتك بصلاته فتشكر له على قدر ذلك (ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى)[2].

حق إمام الجماعة من الحقوق الضائعة كضياع صلاة الجماعة مع أهميتها وفضلها وثوابها وسوف نذكر طرفاً من ذلك بعد شرح بعض الفقرات:

قوله ﷺ: «تقلد السفارة» فإن إمام الجماعة أخذ على عاتقه مناجاة الله تعالى والتقرب إليه بواسطة الصلاة التي هي الرابط المهم والأساسي بين الله تعالى وعباده، فمهمة السفارة والتمثيل بيد إمام الصلاة والجماعة. فقام بقراءة الفاتحة والسورة بدل المصلين وأسقطهما عنهم، وقام في القنوت بالدعاء لهم ولم يدعُ له.

وقوله ﷺ: «فإن كان نقص» فإن الإمام يتحمل الخلل في الصلاة ومعالجته، كما ويتحمّل الإثم إن كان، أما بقية المصلين فلا، أما الثواب فهو مشترك بينهما وهو خلاف قاعدة: من له الغنم فعليه الغرم.

ثم ختم ﷺ هذه الأمور بذكر حق إمام الجماعة ومكافأته على الصلاة والدعاء للمصلين فقال: فتشكر له، فأمرنا ﷺ باحترام وتقدير إمام الجماعة وتقديمه على غيره في المجتمع واعتباره أحد المحسنين علينا.

❁ شرائط إمام الجماعة

قال الإمام الخميني: يشترط في إمام صلاة الجماعة أمور: الإيمان وطهارة المولد والعقل والبلوغ إذا كان المأموم بالغاً، بل إمامة غير البالغ ولو لمثله محل إشكال، بل عدم جوازه لا يخلو من قرب، والذكورة إذا كان المأموم ذكراً، والعدالة، فلا تجوز الصلاة خلف الفاسق ولا مجهول الحال، والعدالة[3] حالة نفسانية باعثة على ملازمة

(١) في نسخة: فإن كان في شي من ذلك تقصير كان به دونك.

(٢) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.

(٣) العدالة عبارة عن الحالة النفسانيّة الباعثة على ملازمة التقوى المانعة من ارتكاب المحرمات الشرعيّة وترك الواجبات، ويكفي في إحرازها حسن الظاهر. (انظر أجوبة الإستفتاءات، جواب سؤال: ٥٦١).



٥ ـ حق البصر

قال ﷺ: وحق البصر أن تغمضه(١) عما لا يحلّ لك، وتعتبر بالنظر به (وتَرك ابتذاله إلا لموضع عبرة، تستقبل بها بصراً أو تستفيد بها علماً، فإن البصر باب الاعتبار)(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾(٣).

عقّب ﷺ على السمع بالبصر لما بينهما من ترابط فنطق بالصواب وأن للبصر والعينين حقوق أهمها الغض عما حرم الله تعالى من النظر الى النساء الأجنبيات أو الى أسرار البيوت وترك التجسس عليها.

ثم نبّه ﷺ الى حقٍّ مهم مجهول للعينين ألا وهو الاعتبار فإن الإنسان من خلال البصر وما يراه يعتبر ويتعظ لما يفيده لدنياه وآخرته قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾(٤).

فعندما ينظر الإنسان الى السماء والقمر والشمس والنجوم والغيوم والمطر والرعد والبرق، والى البحار والمد والجزر والندى والثلج والبرودة والحرارة، وكذلك إلى كيفية صنع العينين والأذنين والعقل واليدين والرجلين والقلب، عندما ينظر الإنسان الى كل ذلك يعتبر ويدرك أن الله هو الخالق والرازق والمسدد والراحم، وأنه هو الحق وما دونه باطل.

❁ العُيونُ مَصائدُ الشَّيطانِ

قال أمير المؤمنين ﷺ: العُيونُ مَصائدُ الشَّيطانِ(٥).

وعنه ﷺ: لَيسَ في البَدَنِ شيءٌ أقَلَّ شُكراً مِن العَينِ، فلا تُعطوها سُؤلَها فتَشغَلَكُم عَن ذِكرِ اللهِ عَزَّ وجلَّ(٦).

---

(١) في نسخة أخرى: فغضه.
(٢) من نسخة أخرى.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٤) سورة حم سجدة، الآية: ٥٣.
(٥) غرر الحكم: ٩٥٠.
(٦) الخصال: ٦٢٩/١٠.

وعنه عليه السلام: عَمَى البَصَرِ خَيرٌ مِن كَثير مِن النَّظَرِ(١).

وعنه عليه السلام: إذا أبصَرَتِ العَينُ الشَّهوَةَ عَمِيَ القَلبُ عنِ العاقِبَةِ(٢).

❁ ما يُستعانُ بِهِ على غَضِّ البَصرِ

قال أمير المؤمنين عليه السلام: في صِفَةِ الرّاغبينَ في اللهِ سبحانَهُ بعدَ ذِكرِ أصنافِ أهلِ الدُّنيا ـ: وبَقِيَ رِجالٌ غَضَّ أبصارَهُم ذِكرُ المَرجِعِ، وأراقَ دُموعَهُم خَوفُ المحشَرِ، فهُم بَينَ شَريد نادٍّ، وخائف مَقموع، وساكِت مَكعوم، وداعٍ مُخلِص، وثَكلانَ مُوجَع.

وعنه عليه السلام: في صِفَةِ المُتَّقينَ ـ: غَضُّوا أبصارَهُم عَمّا حَرَّمَ اللهُ علَيهِم، ووَقَفوا أسماعَهُم علَى العِلمِ النّافِعِ لَهُم(٣).

ثم أشار عليه السلام الى أن العلم وذكر الله والبكاء خوفاً هي أمور تساعد على الغض.

❁ بعض أحكام النظر

مسألة ـ يجوز لكل من الزوج والزوجة النظر الى جسد الآخر ظاهره وباطنه حتّى العورة، وكذا مسُّه مع التلذّذ وبدونه.

مسألة ـ يجوز للرجل أن ينظر إلى جسد محارمه ما عدا العورة إذا لم يكن مع تلذذ وريبة(٤)، والمراد من المحارم من يحرم عليه نكاحهن من جهة النسب أو الرضاع أو المصاهرة.

مسألة ـ لا إشكال في عدم جواز نظر الرجل إلى ما عدا الوجه والكفين من المرأة الأجنبية سواء كان فيه تلذذ وريبة أم لا، وكذا الوجه والكفان إذا كان بتلذذ وريبة، وأما

---

(١) تحف العقول: ٩٥.

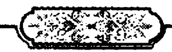
(٢) غرر الحكم: ٤٠٦٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٣٢ و١٩٣.

(٤) **النظر إلى ما بين السرة والركبة:**

س: هل حكم ما بين السرة والركبة في المحارم والمماثل حكم العورة في عدم جواز النظر؟

ج: يجوز للمحارم وللمماثل النظر إلى ما عدا العورة من بدن الآخر، ولكن الجواز مشروط بعدم قصد الريبة وخوف الوقوع في المفسدة. والله العالم (مقتطفات ٢: ٣٤).



بدونهما ففيه أقوال: الجواز مطلقاً وعدمه مطلقاً والتفصيل بين نظرة واحدة وتكرارها وأحوط الأقول أوسطها، ولا يجوز للمرأة النظر إلى الأجنبي كالعكس، والأقرب استثناء الوجه والكفين.

مسألة ـ كما يحرم على الرجل النظر إلى الأجنبية، يجب عليها التستر من الأجانب، ولا يجب على الرجال التستُّر وإن كان يحرم على النساء النظر إليهم عدا ما استثني. وإذا علموا بأن النساء يتعمّدن النظر إليهم فالأحوط التستُّر منهم وإن كان الأقوى عدم وجوبه.

مسألة ـ يجوز لمن يريد الزواج من امرأة أن ينظر إليها بشرط أن لا يكون بقصد التلذذ وإن علم أنه يحصل بسبب النظر قهراً، ويشرط أن يحتمل حصول زيادة بصيرة بها، وأن يجوز زواجه منها فعلاً، وأن يحتمل التوافق على الزواج، والأحوط لو لم يكن الأقوى الاقتصار على ما إذا كان قاصداً الزواج من المنظورة بالخصوص، فلا يعمُّ الحكم إذا كان قاصداً لمطلق الزواج وكان بصدد تعيين الزوجة بهذا الاختيار(١).

❁ مسائل متفرقة في النظر(٢)

النساء اللواتي لا ينتهين:

س: ما حكم النظر الى النساء اللواتي لا ينتهين إذا نهين سواء كن من المسلمات أم الكافرات؟

ج: لا يجوز النظر متعمداً الى ما يجب ستره على المسلمات وإن جرت عادتهن على عدم الستر على الأحوط. ويجوز ذلك بالنسبة الى الكفار مع عدم التلذذ والريبة (مقتطفات ٢: ٣٣).

س: هل عنوان النساء اللواتي لا ينتهين إذا نهين فيجوز النظر الى ما اعتدن على عدم ستره، هل هذا العنوان موجود عند السيد القائد كالإمام الخميني (قده) أم لا، وإنما يختص بالجواز عنده بالوجه والكفين مطلقاً دون سواهما؟

---

(١) مأخوذ من زبدة الأحكام للإمام الخميني.

(٢) مأخوذة من كتاب (أجوبة الإستفتاءات) وكتاب (مقتطفات) للسيد الخامنئي حفظه الله.



ج: في إلحاق النساء اللواتي لا ينتهين إذا نهين بنساء أهل الذمة ومطلق الكفار في جواز النظر الى ما اعتدن على عدم ستره إشكال. والله العالم (مقتطفات ٢: ٣٤).

النظر للشعر المنفصل:

س: ما هو حكم النظر الى الشعر المنفصل من الأجنبية؟ وعلى فرض الحرمة فهل هي مطلقة بحيث تشمل كل شعر ولو ذلك المتطاير في الشارع أو العالق في المشط ولو كان لا يُعرف صاحبته؟ وأرجو ـ إذا أمكن ـ توضيح رأي الإمام الخميني (قده) حيث أطلق الاحتياط في ذلك.

ج: لا يجوز على الأحوط تعمد النظر الى شعر الأجنبية المنفصل سواء كان كثيراً أو قليلاً. والله العالم (مقتطفات ١: ١٩).

لمس شعر الأجنبية:

س: هل يجوز لمس الشعر المنفصل للأجنبية؟

ج: لم يثبت منعه في نفسه. والله العالم. (مقتطفات ٢: ٣٣).

نظر الرجل للمرأة:

س: هل يجوز للرجل أن ينظر الى باطن فم المرأة الأجنبية ولو لغير ضرورة؟

ج: لا يجوز على الأحوط. والله العالم (مقتطفات ١: ١٩).

البث المباشر:

س: هل يجوز النظر الى المرأة الأجنبية بالبث المباشر على التلفاز دون تلذذ وريبة؟ وهل يفرق بين المسلمة وغيرها؟

ج: الأحوط وجوباً عدم النظر الى صورة الأجنبية ـ إذا كانت مسلمة ـ المعروضة في التلفزيون بالبث المباشر، وأما الكافرة فلا بأس به من دون ريبة أو خوف الفتنة (مقتطفات ٢: ٣٣).

مصافحة المجنون:

س: هل يجوز للمرأة أن تصافح الرجل المجنون غير المميز؟

ج: لا تجوز مصافحته إذا كان بالغاً ولو لم يكن عاقلاً. والله العالم (مقتطفات ٢: ٣٥).

النظر لعورة الطفل:

س: هل يجوز للناظر المحترم أن ينظر الى عورة غير المميز اختياراً؟

ج: يجوز النظر الى عورة الطفل غير المميز إذا لم يكن بشهوة. والله العالم (مقتطفات ٢: ٣٣).

الكشف أمام المميز:

س: هل يجوز للمرأة أن تتكشف بما دون العورة أمام الصبي المميز غير البالغ؟

ج: يجوز ما لم يبلغ مبلغاً يترتب على النظر إليه أو منه ثوران الشهوة. والله العالم (مقتطفات ٢: ٣٥).

س: ما هو حكم النظر الى صورة المرأة الأجنبية السافرة؟ وما هو حكم النظر الى صورة المرأة في التلفزيون؟ وهل هناك فرق بين المسلمة وغيرها وبين الصور المعروضة بالبث المباشر وغير المباشر؟

ج: النظر إلى صورة الأجنبية ليس حكمه حكم النظر إلى نفس الأجنبية فلا بأس فيه، إلا مع الريبة وخوف الفتنة أو كانت الصورة لمسلمة يعرفها الناظر، والأحوط وجوباً عدم النظر إلى صورة الأجنبية المعروضة في التلفزيون بالبث المباشر، وأما في البث غير المباشر مما يعرض في التلفزيون فلا بأس بالنظر إليها من دون ريبة أو خوف الفتنة (سؤال: ٩٦).

س: ما هو حكم التقاط صور للمرأة غير المحجّبة بين محارمها؟ وما هو الحكم مع احتمال أن يشاهد الصور الأجنبي أثناء غسلها وطبعها؟

ج: لا إشكال إذا كان المصوّر الذي ينظر إليها ويلتقط صورتها من محارمها، ولا إشكال أيضاً في غسلها وطبعها عند مصوّر لا يعرفها (سؤال: ١٠٥).

الأفلام الخلاعية:

س: هل يجوز النظر الى الأفلام التي تثير الشهوة في حالة كون الناظر متزوجاً؟



ج: لو كان النظر بقصد إثارة الشهوة أو كان موجباً لها لم يجز له ذلك (سؤال: ١١٣).

س: هل يجوز للزوجين مشاهدة أفلام الفيديو الجنسية داخل المنزل؟ وهل يجوز للمصاب بقطع النخاع مشاهدة هذه الأفلام بقصد إثارة شهوته ليتمكن بذلك من مقاربة زوجته؟

ج: لا تجوز إثارة الشهوة بواسطة مشاهدة أفلام الفيديو الجنسية (سؤال: ١١٧).

س: هل يجوز للمرأة مشاهدة مصارعة الرجال؟

ج: إن كانت المشاهدة بالحضور الى ساحة المصارعة والنظر اليها مباشرة أو بالنظر الى ما يبث من التلفزيون ونحوه بالبثّ المباشر، أو كان بقصد التلذذ والريبة، أو كان فيها خوف الفتنة والفساد فلا تجوز، وإلّا فلا بأس فيها (سؤال: ١٠٣).

٦ ـ حق اليد

قال عليه السلام: وحق يدك أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك (فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل، ومن الناس بلسان اللائِمة في العاجل، ولا تقبضها مما افترض الله عليها ولكن توقرها به: تقبضها عن كثير مما لا يحلّ لها، وتبسطها بكثير مما ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل ووجب لها حسن الثواب من الله في الآجل)[1].

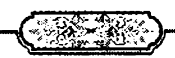
الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: أيّها الناس لِيَرَكم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فَرِقِينَ، إنّه مَنْ وُسّعَ عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخُوفاً، ومن ضُيّقَ عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضَيَّعَ مأمولاً[2].

كلام بديع في توجيه عمل الإنسان بيده الى ما يرضي الله تعالى وإبعاده الى ما حرم الله فعله، فاليد خلقها الله تعالى لكي تساعد الإنسان على العبادة كالوضوء والصلاة وأداء فريضة الحج.

---

(١) من نسخة أخرى.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٥٨.



وأيضاً ليعطي الإنسان الصدقة بها أو يفعل بها معروفاً لفقير أو محتاج، أو يقدم خدمة اجتماعية تكون له صدقة كشق طريق أو إماطة الأذى عن الطريق أو زرع الأشجار المفيدة أو جرّ المياه لمحتاجيها، أو للجهاد في سبيل الله تعالى.

كل هذه الأعمال أعمال برٍّ يقوم بها الإنسان بيده فيؤجر عند الله تعالى في عالم الآخرة ويسدد في عالم الدنيا ويُمدح عند الناس ويحترم لقاء ذلك.

أما إذا استعمل الإنسان يده لضرب الزوجة أو الأولاد أو أذية الجار ورمي النفايات على الطرقات وكسر أشجار الناس وجرح سياراتهم أو ممتلكاتهم فإنه إذا استعمل يده لذلك ـ وهو ما حرمه الله ـ فإنه يعاقب عند الله تعالى يوم القيامة ويذم من الناس في الدنيا على سوء أعماله، إضافة إلى آثار العمل السيء عليه وعلى أولاده ومجتمعه[1].

٧ ـ حق الرِجلين

قال ﷺ: وحق رجليك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك فيهما، تقف على الصراط فانظر أن لا تزل بك فتتردى في النار، (ولا تجعلها مطيتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها، فإنها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين، والسبق لك، ولا قوة إلا بالله تعالى)[2].

الرِجلان قد يستعملا لمقصد خير وقد يستعملا لمقصد شر ولكل من المقصدين أثر إن على صعيد الدنيا أم على صعيد الآخرة وما أعده الله للمطيعين من عباده.

أما مقصد الخير فهو ذهاب الإنسان إلى أماكن الخير والبر والموعظة كالذهاب إلى المساجد والمقامات الشريفة والدروس الدينية ومجالس العزاء فإن لكل خطوة يخطوها الإنسان برجليه ثواب عظيم.

ولكل مقصد من هذه المقاصد آثار دنيوية وأخروية ليس هنا موضع ذكرها.

وأما مقصد الشر الذي يقصده المرء كالذهاب إلى أمكنة المعاصي والفسق والفجور

---

(١) ذكرنا في كتاب معاجز الصدقة جملة من الآثار المترتبة على العمل الصالح والسيء.

(٢) من نسخة أخرى.



والملاهي الليلية والغناء ومجالس الغيبة والفتن والضلالة.. ونحو ذلك من الأمور التي حرم الله تعالى الذهاب إليها أو التواجد بها، فإن كل خطوة يخطوها الإنسان برجليه إلى هذه الأماكن هي بمثابة خطوة إلى النار والابتعاد عن الجنة. وقد حذّر الله من ذلك وتوعّد عليه.

وأيضاً لكل خطوة إلى هذه الأماكن لها آثار دنيوية وأخروية ليس هنا محل ذكرها.

وعليه ينبغي للإنسان المؤمن أن يلتفت إلى مقاصده وما يقال فيها أو يفعل.

٨ ـ حق البطن

قال عليه السلام: وحق بطنك أن لا تجعله وعاء للحرام[١]، ولا تزيد على الشبع، (وأن تقتصد له في الحلال ولا تخرجه من حدّ التقوية إلى حد التهوين وذهاب المروة، فإن الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل بر وكرم وإن الرأي المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروة)[٢].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أرادَ اللهُ بِعَبد خَيراً أعَفَّ بَطنَهُ وفَرجَهُ[٣].

حق البطن عظيم وآثاره تسري الى كثير من الأمور، خاصة أكل المال الذي حرمه الله تعالى كأكل مال اليتيم والفقير وحقه من الخمس، ومال الربا والسحت ومال النجس، فإن لهذه الأمور خطر عظيم على نفسية الإنسان وروحيته.

❁ أكلُ الحرام وأثرهِ

وفي قوله عليه السلام: «**وحق بطنك أن لا تجعله وعاء للحرام**» إشارة الى أكل الطعام والمال الحرام وأثره: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَن أكَلَ لُقمَةً مِن حَرام لَم تُقبَلْ لَهُ صلاةٌ أربَعينَ لَيلةً[٤].

---

(١) في نسخة أخرى: لقليل من الحرام ولا لكثير.

(٢) من نسخة أخرى.

(٣) غرر الحكم: ٤١١٤.

(٤) كنز العمّال: ٩٢٦٦.



عنه ﷺ: إنَّ اللهَ عزّ وجلّ حَرّمَ الجَنّةَ جَسَداً غُذِيَ بحَرام[١].

عنه ﷺ: لا يَدخُلُ الجَنّةَ منَ نَبَتَ لَحمُهُ مِن السُّحتِ، النّارُ أوْلى بهِ[٢].

عنه ﷺ: إذا وَقَعتِ اللُّقمَةُ مِن حَرام في جَوفِ العَبدِ لَعَنهُ كُلُّ مَلَك في السّماواتِ والأرضِ[٣].

عنه ﷺ: العِبادَةُ مَع أكْلِ الحَرامِ كالبِناءِ على الرَّمْلِ ـ وقيلَ: على الماءِ ـ[٤].

وقال الإمامُ عليٌّ ؑ: بِئسَ الطّعامُ الحَرامُ[٥].

وقال الإمامُ الباقرُ ؑ: إنَّ الرّجُلَ إذا أصابَ مالاً مِن حَرام لَم يُقْبَلْ مِنهُ حَجٌّ ولا عُمْرَةٌ ولا صِلَةُ رَحِم حتّى أنّه يَفْسُدُ فيهِ الفَرْجُ[٦].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: لَرَدُّ دانَق من حَرام يَعْدِلُ عندَ اللهِ سُبحانَهُ سَبعينَ ألفَ حجّة مَبرورَة[٧].

وقال الإمامُ الصّادقُ ؑ ـ في قولهِ عزّ وجلّ: ﴿**أمَا واللهِ إنْ كانت أعمالُهُم أشدَّ بَياضاً مِن القُباطيّ، ولكنْ كانوا إذا عَرَضَ لهُمُ الحرامُ لم يَدَعوهُ**[٨].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: تَرْكُ دانَقِ حَرام أحَبُّ إلى اللهِ تعالى مِن مائةِ حِجّة من مال حلال.

وعنه ﷺ: تَرْكُ لُقمَةِ حَرام أحَبُّ إلى اللهِ من صلاةِ ألفَي رَكْعَة تَطَوُّعاً[٩].

---

(١) كنز العمّال: ٩٢٦١.
(٢) تنبيه الخواطر: ١/ ٦١.
(٣) مشكاة الأنوار: ٣١٥.
(٤) عدّة الداعي: ١٤١.
(٥) غرر الحكم: ٤٣٨٩.
(٦) أمالي الطوسيّ: ٦٨٠/ ١٤٤٧.
(٧) الدعوات للراونديّ: ٢٥/ ٣٦.
(٨) الكافي: ٢/ ٨١/ ٥.
(٩) تنبيه الخواطر: ٢/ ١٢٠.



تنبيه الخواطر: أكَلَ عليٌّ ﷺ تَمْرَ دَقَل وشَرِبَ عليهِ الماءَ وضَرَبَ على بَطْنِهِ، وقالَ: مَن أدخَلَ بطنَهُ النّارَ فأبْعَدَهُ اللهُ[1].

وقال الإمامُ الكاظمُ ﷺ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يأتي أهلَ الصُّفَّةِ وكانوا ضِيفانَ رسولِ اللهِ ﷺ، كانوا هاجَروا مِن أهاليهِم وأموالِهِم إلى المَدينَةِ فأسْكَنَهُم رسولُ اللهِ ﷺ صُفَّةَ المَسجِدِ، وهُم أربَعُمِائةِ رجُلٍ، يُسَلِّمُ علَيهِم بالغَداةِ والعَشِيِّ، فأتاهُم ذاتَ يوم فمِنهُم مَن يَخصِفُ نَعلَهُ، ومِنهُم مَن يَرقَعُ ثَوبَهُ، ومِنهُم مَن يَتَفلّى، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَرزُقُهُم مُدّاً مُدّاً مِن تمر في كُلِّ يَوم.

فقامَ رجُلٌ مِنهُم فقالَ: يا رسولَ اللهِ، التّمرُ الّذي تَرْزُقُنا قَد أحْرَقَ بطُونَنا!

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أمَا إنّي لَوِ اسْتَطَعْتُ أنْ أُطْعِمَكُمُ الدُّنيا لَأطعَمْتُكُم، ولكنْ مَن عاشَ مِنكُم بَعدي فسَيُغدى علَيهِ بالجِفانِ ويُراحُ علَيهِ بالجِفانِ، ويَغدو أحَدُكُم في قَميصة ويَروحُ في أُخرى، وتُنَجِّدونَ بُيوتَكُم كما تُنَجَّدُ الكَعبةُ.

فقامَ رجُلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، إنّا إلى ذلكَ الزَّمانِ بالأشْواقِ! فمَتى هُو؟!

قالَ ﷺ: زَمانُكُم هذا خَيرٌ مِن ذلكَ الزّمانِ، إنّكُم إنْ مَلَأتُم بطُونَكُم مِن الحَلالِ تُوشِكونَ أنْ تَملؤوها مِن الحَرامِ[2].

عنه ﷺ: لا يَقْدِرُ رَجُلٌ على حَرام ثُمّ يَدَعُهُ، لَيس بهِ إلّا مَخافَةُ اللهِ، إلّا أبْدَلَهُ اللهُ في عاجِلِ الدُّنيا قَبلَ الآخِرَةِ ما هُو خَيرٌ لَهُ مِن ذلكَ[3].

❁ آفة التخمة

وأما قوله ﷺ: «فإن الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل بر وكرم» فهو بيان لآفات التخمة وامتلاء البطن: فعن أبي عبد الله ﷺ: «إن البطن إذا شبع طغى»[4].

---

(١) تنبيه الخواطر: ١/ ٤٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٢/ ٥٦/ ١٣٤٩٩.

(٣) كنز العمّال: ٤٣١١٣.

(٤) محاسن البرقي: ٢/ ٤٤٦.



وعن أبي جعفر عليه السلام: **«ما من شيء أبغض إلى الله عزّ وجلّ من بطن مملوء»**[١].

والأمراض إنما تتولد غالباً من التخمة والإمتلاء وهي أكثر أسباب الموت كما يشهد به العقل والنقل فورد في الحديث النبوي: **«صوموا تصحوا»**.

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام: **«المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل الدواء وأعط كل بدن ما عوّدته»**[٢].

ومن آثار قلة الطعام خفة المؤنة وسهولة الأمر فإن من تعوّد قلّة الأكل أمكنه الإكتفاء بالقليل من المال، والذي تعود الإمتلاء صار بطنه غريماً متقاضياً له فيحتاج إلى أن يدخل المداخل ويرتكب المشاق والأخطار للزيادات، فطلب الزيادة يورث التعب والمذلة بالطمع مما في أيدي الناس وربما يتعسر من حلال فينجر إلى تحصيل الحرام والشبهه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: **«ما من شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل وهي مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة، والجوع إدام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن»، الحديث**[٣].

قيل: إنما كان الجوع إداماً للمؤمن، لأنه إنما يأكل في وعاء واحد فاللذة الحاصلة له من الخبز الكفت تنوب مناب لذة الإدام لغيره بل ربما تربو عليها، وأما البواقي فمعلومة مما تقدم.

واعلم أن المقصود من مدح الجوع والإطراء في بيان فوائده ليس دعوة النفوس إلى الإفراط فيه فإن إثمه أكبر من نفعه، بل الغرض التوقيف على حد الإعتدال والتوسط الذي هو قوام جميع الأمور، فإن كانت النفس المسترشدة متعودة له فلتستقم على صراطها المستقيم وطريقتها المثلى، وإن كانت مفرطة بالتقليل بحيث يتضرر البدن وتضعف البنية ويخبط الدماغ ويقل نور البصر فليخرج عن ذلك قليلاً ولتتناول من الطيبات من الرزق إلى أن تقف على سواء السبيل.

---

(١) الفصول المهمة للحر العاملي: ٢/ ٤٣٧.

(٢) البحار: ٥٩/ ٢٩٠.

(٣) مستدرك الوسائل: ١٦/ ٢١١.



ويمكن التقليل بالتدريج بحيث لا يحس بالبدن فمن كان مأكله كل يوم على حسب عادته مداً مثلاً أمكنه أن ينقص منه أولاً مثقالاً يومين أو ثلاثة ثم مثقالين وهكذا إلى أن يبلغ ما يحصل به القوام المطلوب فيثبت عليه، وإن لم يطق التقليل بسبب ضعف في البنية أو طعن في السن أو اشتغال بعمل رياضي أو نحو ذلك فأجود التدبيرات الإقتصار على الأكل بعد صدق الشهوة.

ومن علامته أن تشتهي النفس الخبز ولا تطلب الإدام، وأن يبصق فلا يقع عليه الذباب إذ لا دسومة فيه لخلو المعدة والكف عنه قبل تمام الشبع(١).

❁ علاج التخمة

عن الحارث بن المغيرة قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ثقلاً أجده في فؤادي وكثرة التخمة من طعامي، فقال: تناول من هذا الرمان الحلو وكله بشحمه فإنّه يدبغ المعدة دبغاً ويشفي التخمة ويهضم الطعام وتسبح في الجوف(٢).

وعن محمد بن عبد الله العسقلاني قال: حدثنا النضر بن سويد عن علي بن أبي صلت ابن أخي شهاب قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام الأوجاع والتخم فقال لي: تغد أو تعش ولا تأكل فيما بينهما شيئاً فإن فيه فساد البدن أ ما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(٣)(٤).

٩ ـ حق الفرج

قال عليه السلام: وحق فرجك أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن ينظر إليه (وحفظه مما لا يحلّ لك والاستعانة عليه بغض البصر فإنه من أعون الأعوان، وضبطه إذا همّ بالجوع والظمأ، وكثرة ذكر الموت والتهدد لنفسك بالله، والتخويف لها به، وبالله العصمة والتأييد ولا حول ولا قوة إلا به)(٥).

(١) انظر التحفة السنية: ١٧٤.
(٢) طب الأئمة عليهم السلام: ١٣٤.
(٣) سورة مريم، الآية: ٦٢.
(٤) طب الأئمة عليهم السلام: ٥٩.
(٥) من نسخة أخرى.



❁ النهيُ عنِ الزِّنا

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[1].

قال أمير المؤمنين ﷺ: إذا أرادَ اللهُ بِعَبد خَيراً أعفَّ بَطنَهُ وفَرجَهُ[2].

وقال الإمامُ الباقرُ ﷺ - في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ -: مَعصيَةً ومَقْتاً فإنّ اللهَ يَمقُتُهُ ويُبغِضُهُ، قالَ: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ هُو أشَدُّ الناسِ عَذاباً، والزنا مِن أكبَرِ الكَبائرِ.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: لَن يَعمَلَ ابنُ آدَمَ عَملاً أعظَمَ عِندَ اللهِ تباركَ وتعالى مِن رَجُل قَتَلَ نَبيّاً أو إماماً، أو هَدَمَ الكَعبَةَ التي جَعَلَها اللهُ عَزَّ وجلَّ قِبلَةً لِعِبادِهِ، أو أفرَغَ ماءَهُ في امرأة حَراماً.

وقال الإمامُ الصّادقُ ﷺ: إنَّ أشَدَّ الناسِ عَذاباً يَومَ القِيامَةِ رَجُلٌ أقَرَّ نُطفَتَهُ في رَحِم تَحرُمُ علَيهِ[3].

وقال الإمامُ عليٌّ ﷺ: ما زَنى غَيورٌ قَطُّ[4].

❁ أكبرُ الزِّنا

قال الإمامُ الصّادقُ ﷺ: ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ تعالى ولا يُزَكِّيهِم ولَهُم عَذابٌ أليمٌ، مِنهُمُ المرأةُ تُوطِئُ فِراشَ زَوجِها[5].

وقال الإمامُ عليٌّ ﷺ: ألا أُخبِرُكُم بأكبَرِ الزِّنا؟... هِيَ امرأةٌ تُوطِئُ فِراشَ زَوجِها فَتَأتي بوَلَد مِن غَيرِهِ فَتُلزِمُهُ زَوجَها، فتِلكَ التي لا يُكَلِّمُها اللهُ، ولا يَنظُرُ إلَيها يومَ القِيامَةِ، ولا يُزَكِّيها ولَها عَذابٌ أليمٌ[6].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن فَجَرَ بامرَأة ولَها بَعلٌ، انفَجَرَ مِن فَرجِهِما مِن صَدِيد واد

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.
(٢) غرر الحكم: ٤١١٤.
(٣) البحار: ٧٩/١٩/٥ وص٢٠/٩ وص٢٦/٢٨.
(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٣٠٥.
(٥) ثواب الأعمال: ٣١٢/٥.
(٦) البحار: ٧٦/٣٦٦/٣٠.



مَسِيرَةَ خَمسِمائةِ عام يَتَأذّى أهلُ النارِ مِن نَتْنِ رِيحِهِما، وكانا مِن أشَدِّ الناسِ عَذاباً.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: إشتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَزَّ وجلَّ عَلَى امرأة ذاتِ بَعل مَلَأتْ عَينَها مِن غَيرِ زَوجِها أو غَيرِ ذِي مَحرَم مِنها، فإنّها إن فَعَلَتْ ذلكَ أحبَطَ اللهُ كُلَّ عَمَل عَمِلَتهُ، فإن أوطَأتْ فِراشَهُ غَيرَهُ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أن يُحرِقَها بِالنارِ بعدَ أن يُعَذِّبَها في قَبرِها.

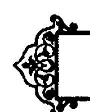
وعنه ﷺ: لَمّا أُسرِيَ بِي مَرَرتُ بِنِسوان مُعَلَّقات بِثُدُيِّهِنَّ فقلتُ: مَن هؤلاءِ يا جَبرئيلُ؟

فقالَ: هؤلاءِ اللَّواتِي يُورِثْنَ أموالَ أزواجِهِنَّ أولادَ غَيرِهِم[1].



(١) البحار: ٧٦/٣٦٦/ ٣٠ و٧٩/١٩/٦.





حقوق الأفعال



ثم ذكر عليه السلام حقوق أفعال الإنسان وابتدأ بأهمها وأصلها وهي الصلاة فقال عليه السلام:

١٠ ـ حق الصلاة

قال عليه السلام: وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله عزّ وجلّ وأنك فيها قائم[(١)] بين يدي الله عزّ وجلّ فإذا علمت ذلك قمت مقام[(٢)] الذليل الحقير، الراغب الراهب، والراجي الخائف المستكين المتضرع، المعظم لمن كان بين يديه[(٣)] بالسكون والوقار، (والإطراق وخشوع الأطراف)، ولين الجناح، وحسن المناجاة له في نفسه و(الطلب) إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت بها خطيئتك، واستهلكتها ذنوبك، وتُقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها ولا قوة إلا بالله)[(٤)].

❁ أهمية الصلاة وأثرها على السلوك

قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «إِنَّ أَفْضَلَ ما تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ الإِيمانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ، و... وَإِقَامُ الصَّلاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ..».

قال الطريحي: الملّة في الأصل ما شرع الله لعباده على ألسنة الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله، ويستعمل في جملة الشرائع دون آحادها ولا يكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمّة النبيّ صلى الله عليه وآله بل يقال ملة محمّد قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ

(١) في نسخة أخرى: وأنك قائم بها.
(٢) في النسخة الأخرى: كنت خليقاً أن تقوم فيها.
(٣) في النسخة الأخرى: من قام بين يديه.
(٤) من نسخة أخرى.



هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[١]، أي دينه.

قال حبيب الله الخوئي: لما كان الصّلاة هو الركن الأعظم من الدّين أطلق اسمه عليها وأتى بالملّة معرفة بلام الجنس قصداً للحصر مبالغة من باب زيد الأمير ونحوه الحديث النّبوي قال: «**الصّلاة عماد الدّين**»[٢]، فإنه لما كان قوام الدّين وثباته بها جعلها عماداً له كما صرح بذلك في رواية أخرى قال: «**مثل الصّلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبتت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء**»[٣].

وفي رواية أخرى عنه، «**الصّلاة عماد الدّين فمن ترك صلاته متعمّداً فقد هدم دينه**»[٤].

وكيف كان فالآيات والروايات في فضلها وعقوبة تاركها فوق حدّ الإحصاء[٥] قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٦] وفي سورة النساء: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[٧] وفي سورة مريم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٨]وفي سورة العنكبوت: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٩] وفي

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٢) مستدرك الوسائل: ٣/ ٩٨.
(٣) الكافي: ٣/ ٢٦٦.
(٤) البحار: ٧٩/ ٢٠٢.
(٥) انظر الكافي: ٦/ ١٣ ح٤، ووسائل الشيعة: ١٥/ ١٢٥ ح٢٠١٣٠.
(٦) سورة الإسراء، الآيتان: ٧٨ ـ ٧٩.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٤.
(٨) سورة مريم، الآية: ٥٩.
(٩) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.



سورة أرأيت: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[١]. أي غافلون غير مبالين بها.

قال عليّ بن إبراهيم القمّي: عنى به: تاركون، لأن كل إنسان يسهو في الصّلاة، وفي «المجمع» عن الصّادق «هو التّرك لها والتواني عنها».

وعن الخصال عن أمير المؤمنين ﷺ: «ليس عمل أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من الصّلاة فلا يشغلكم عن أوقاتها شيء من أمور الدّنيا، فإنّ الله عزّ وجلّ ذمّ أقواماً فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، يعني أنهم غافلون استهانوا بأوقاته»[٢].

وفي «الكافي» بإسناده عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عزّ وجلّ ما هو؟ فقال ﷺ: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلاة، ألا ترى أن العبد الصّالح عيسى ابن مريم قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٣].

وعن زيد الشّحام عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: «أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ الصّلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء ﷺ فما أحسن الرّجل يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثمّ يتنحى حيث لا يراه أنيس فيشرف عليه وهو راكع أو ساجد، إن العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويله أطاعوا وعصيت وسجدوا وأبيت»[٤]، ونحوه في الفقيه إلّا أن فيه: فيشرف الله عليه.

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: «إذا قام العبد المؤمن في صلاة نظر الله إليه أو قال أقبل الله عليه حتى ينصرف، وأظلّته الرّحمة من فوق رأسه إلى أفق السماء والملائكة تحفه من حوله إلى أفق السّماء، ووكل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول: أيها المصّلي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفتّ ولا زلت من موضعك أبداً»[٥].

---

(١) سورة الماعون، الآيتان: ٤ ـ ٥.
(٢) مستدرك الوسائل: ٣/ ٩٨ ح٣١١١٥، وميزان الحكمة: ٢/ ١٦٤٤.
(٣) سورة مريم، الآية: ٣١.
(٤) الخصال: ٦٢١، ووسائل الشيعة: ٤/ ١١٣ ح٤٦٥٣.
(٥) المحاسن: ١/ ١٨ ح٥٠، ووسائل الشيعة: ٤/ ٣٩.



وعن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «الصّلاة قربان كلّ تقي»(١).

وعن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذبه ومن قبل منه حسنة لم يعذبه».

وعن الحسين بن سيف عن أبيه قال: حدّثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنب».

وفي «الفقيه» قال الصّدوق: قال النبي: «ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي النّاس: أيّها النّاس قوموا إلى نيراكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفؤها بصلاتكم»(٢).

قال: وقال الصّادق عليه السلام: «أوّل ما يحاسب به العبد الصّلاة فإذا قبلت منه قبل سائر عمله، وإذا ردت عليه رد عليه سائر عمله».

قال: وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّما مثل الصّلاة فيكم كمثل البري ـ وهو النهر ـ على باب أحدكم يخرج إليه في اليوم واللّيلة يغتسل منه خمس مرّات فلم يبق الدرن على الغسل خمس مرّات، ولم يبق الذنوب على الصّلاة خمس مرات».

وفي «جامع الأخبار» قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا تضيّعوا صلاتكم، فإن من ضيّع صلاته حشره الله تعالى مع قارون وفرعون وهامان لعنهم الله وأخزاهم وكان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته».

قال: وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من ترك الصّلاة حتّى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله، ثمّ قال: بين العبد وبين الكفر ترك الصّلاة».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله «من ترك الصّلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها فلا أبالي يموت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً».

---

(١) الكافي: ٣/ ٢٦٥ ح٥، ووسائل الشيعة: ٤/ ٣٢ ح٤٤٣٧.

(٢) الكافي: ٣/ ٢٦٥ ح٦، ووسائل الشيعة: ٤/ ٤٣ ح٤٤٦٩.



وقال ﷺ: «من أعان تارك الصّلاة بلقمة أو كسوة فكأنّما قتل سبعين نبيّاً أوّلهم آدم وآخرهم محمّد هذا»[١].

۞ علّة وجوب الصلوات الخمس وبعض أسرارها

أما علة وجوبها فقد روى في «الفقيه» عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أنه قال له: أخبرني عن الله لأيّ شيء فرض الله عزّ وجلّ هذه الخمس الصّلوات في خمسة مواقيت على أمّتك في ساعات اللّيل والنّهار؟

فقال النبيّ ﷺ «إنّ الشمس عند الزّوال لها حلقة تدخل فيها فإذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبح كلّ شيء دون العرش بحمد ربّي جل جلاله وهي السّاعة التي يصلي فيها عليّ ربّي ففرض الله عليّ وعلى أمّتي فيها الصّلاة وقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٢].

وهي السّاعة التي يؤتى فيها بجهنّم يوم القيامة فما من مؤمن يوافق تلك السّاعة أن يكون ساجداً أو راكعاً أو قائماً إلّا حرّم الله جسده على النّار.

وأما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل آدم فيها من الشجرة فأخرجه الله من الجنّة فأمر الله ذريّته بهذه الصّلاة إلى يوم القيامة واختارها لأمّتي فهي من أحبّ الصّلوات إلى الله عزّ وجلّ وأوصاني أن أحفظها من بين الصّلوات.

وأما صلاة المغرب فهي السّاعة التي تاب الله على آدم، وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيّام الدّنيا وفي أيّام الآخرة يوم كألف سنة ما بين العصر إلى العشاء، فصلّى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حوّا، وركعة لتوبته فافترض الله هذه الثلاث ركعات على أمّتي، وهي السّاعة التي يستجاب فيها الدّعاء فوعدني الله أن يستجيب لمن دعاه فيها، وهي الصّلاة التي أمرني ربّي بها في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾[٣].

---

(١) معارج اليقين: ١٨٧.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.
(٣) سورة الروم، الآية: ١٧.

وأما صلاة العشاء الآخرة فإنّ للقبر ظلمة، وليوم القيامة ظلمة أمرني الله بهذه الصّلاة وأمّتي لتنوّر الصّور وليعطني وأمّتي النّور على الصّراط، وما من قدم مشت إلى صلاة العتمة إلّا حرّم الله جسدها على النّار وهي الصّلاة التي اختارها الله للمرسلين قبلي.

وأمّا صلاة الفجر فإنّ الشّمس إذا طلعت تطلع على قرن شيطان، فأمرني الله أن أصلي قبل طلوع الشّمس صلاة الغداة وقبل أن يسجد لها الكافر لتسجد أمتي لله عزّ وجلّ وسرعتها أحبّ إلى الله وهي الصّلاة التي يشهدها ملائكة الليل وملائكة النّهار».

علّة أُخرى

وهو ما رواه في «الفقيه» أيضاً عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله أنه قال: «لما هبط آدم من الجنّة ظهرت به شامة سوداء في وجهه من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به، فأتاه جبرئيل فقال له: ما يبكيك يا آدم؟

فقال: لهذه الشامة التي ظهرت بي.

قال: قم يا آدم فصل فهذا وقت الصّلاة الأولى، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى عنقه، فجاءه في الصّلاة الثانية فقال: يا آدم قم فصل فهذا وقت الصّلاة الثانية، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى سرّته، فجاءه في الصّلاة الثالثة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاة الثالثة فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى ركبتيه، فجاءه في الصّلاة الرّابعة فقال: يا آدم قم فصل فهذا وقت الصّلاة الرابعة، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى قدميه، فجاءه في الصّلاة الخامسة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاة الخامسة، فقام فصلّى فخرج منها، فحمد الله وأثنا عليه، فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك في هذه الصّلاة كمثلك في هذه الشّامة، من صلّى من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشّامة[1].

أسرار الصلاة

وأما أسرار الصلاة: فهي كثيرة لا يمكن استقصاؤها وإنّما نشير إلى نبذة منها مما أشير إليها في الروايات ووصل إلينا من أولي الألباب والدّرايات وأرباب المعرفة والإشارات فنقول وبالله التوفيق:

---

(١) المحاسن: ٢/ ٣٢٢ ح٦٣، والأمالي: ٢٥٦.



أنّ الصّلاة الكاملة قد خصّت بين سائر العبادات بأنّها بمنزلة إنسان كامل مشتمل على روح وجسد، منقسم إلى ظهر وبطن وسرّ وعلن، ولروحه وسرّه أخلاق وصفات، ولجسده وعلنه أعضاء وأشكال، فروح الصّلاة أهل معرفة الحقّ والعبوديّة له بالإخلاص والتوحيد.

أمّا أخلاقها وصفاتها الباطنة فيجمعها أمور وهي: حضور القلب، والتفهّم والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء، وهذه ستّ خصال شريفة وحالات كريمة وملكات عظيمة لا يوجد جميعها إلّا في مؤمن امتحن الله قلبه بنور الإيمان والعرفان.

❁ حضور القلب

أما حضور القلب: فهو تفريغ القلب من غير ما هو ملابس له ومتكلّم به وصرفه إلى ما يتلبس به من الأفعال ويتكلّم به من الأقوال، ولا يحصل ذلك إلّا بعد معرفة المصلّي بأنّ الغرض المطلوب منه هو الإيمان والتصديق بأنّ الآخرة خير وأبقى، وأن الصّلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف إلى تلك المعرفة العلم بحقارة الدّنيا وخستها وزوالها انصرف القلب عن مهمّات الدّنيا لا محالة وتوجّه إلى صلاته الموصلة وإلى سعادات الآخرة وهو معنى حضور القلب.

روى إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله أنّه ﷺ قال: «إنّي لأحبّ الرّجل المؤمن منكم إذا قام في صلاة فريضة أن يُقبل بقلبه إلى الله تعالى ولا يشغل قلبه بأمر الدّنيا، فليس من عبد يقبل بقلبه في صلاته إلى الله تعالى إلّا أقبل الله إليه بوجهه، وأقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبة بعد حب الله إليه إيّاه»[1].

وفي الخصال بإسناده عن عليّ ﷺ في حديث الأربعمائة قال: «لا يقومنّ أحدكم في الصّلاة متكاسلاً، ولا ناعساً، ولا يفكّرن في نفسه، فإنه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وإنّما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه»[2].

أقول: ومرّ ذلك أنّ الصّلاة في الحقيقة معراج المؤمن ومناجاة الرّب المعبود، فلا

(١) علل الشرائع: ٢/٣٣٩، ووسائل الشيعة: ٤/١٦.

(٢) ثواب الأعمال: ١٣٥، والأمالي: ١٥٠.



بدّ فيه من الإقبال، لأنّ مَن لا يقبل عليك لا يستحق إقبالك عليه، كما لو حاربك من تعلم غفلته من محاربتك وإعراضه عن محاورتك، فإنّه يستحق إعراضك عن خطابه واشتغالك بجوابه.

قال الصّادق ﷺ «من أراد أن ينظر منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد مثل ما ينزل العبد إليه من نفسه»[١].

❁ تفهم وتدبر معاني الصلاة

وأما التفهم: فهو التّدبر في معنى اللفظ، وهو أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللّفظ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللّفظ هو المراد بالتفهم، وقد ذمّ الله أقواماً على ترك التدبر حيث قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[٢].

وروى سيف بن عمير عمن سمع أبا عبد الله ﷺ يقول: «من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنب إلّا غفر له»[٣].

ثمّ الناس في هذا المقام أي مقام التفهم متفاوتون، إذ ليس يشترك الجميع في تفهم معاني القرآن والتّسليمات، وكم من معاني لطيفة يفهمها المصلّي في أثناء الصّلاة ولم يكن خطر بقلبه قبل ذلك، ومن هذا الوجه كانت الصّلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، فإنّما يفهم أموراً هي مانعة من الفحشاء لا محالة.

روى يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: **«اعلم أنّ الصّلاة حجزة الله في الأرض فمن أحبّ أن يعلم ما أدرك من نفع صلاته فلينظر، فإن كانت صلاته حجزته عن الفواحش والمنكر فإنّما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز، ومن أحبّ أن يعلم ما له عند الله فليعلم ما لله عنده»**[٤].

---

(١) دعائم الإسلام: ١/ ١٥٨، والأمالي: ٧٤٢.
(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.
(٣) عدة الداعي: ١٦٧.
(٤) الكافي: ٣/ ٢٦٦ ح١٢، ووسائل الشيعة: ٥/ ٤٧٥ ح٧١٠٢.



❁ الخشوع في الصلاة

وأما التعظيم: فهو أمر وراء حضور القلب والفهم، فربما يخاطب الرّجل عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهّم لمعناه، ولا يكون معظماً له، فالتعظيم أمر زائد عليهما، وهو حالة للقلب منشأها معرفة جلال الرّب سبحانه وكبريائه وعظمته مع معرفة حقارة النّفس وخسّتها وكونها عبداً مسخّراً مربوباً، فيتولد من هاتين المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه، فيعبر عنه بالتعظيم.

روى الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كنت في صلاتك فعليك بالخشوع والإقبال على صلاتك، فإن الله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2] فالخشوع في الصلاة من حدود الإيمان وعلائمه. فكل من لم يكن خاشعاً في الصلاة فهو خارج عن زمرة أهل الإيمان طبقاً لقوله تعالى.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إذا دخلت في صلاتك فعليك بالتخشّع والإقبال على صلاتك فإن الله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3].

قال المحقق الكاشاني في المحجة البيضاء ما حاصله: إن الخشوع في الصلاة على قسمين **الأول**: الخشوع القلبي وهو أن يكون تمام همّته في الصلاة ومعرضاً عما سواها بحيث لا يكون في قلبه سوى المحبوب.

والثاني: الخشوع في الجوارح وهو يحصل بأن يغمض عينيه ولا يلتفت إلى الجوانب ولا يلعب بأعضائه...

وبالجملة لا تصدر منه حركة سوى الحركات الصلاتية، ولا يأتي بشيء من المكروهات..

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٢.



❁ خشوع الجوارح

روى الطّبرسي في مجمع البيان أن النبيّ ﷺ رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: **أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**[١].

❁ الهيبة في الصلاة

قال: وأما الهيبة: فأمر زائد على التعظيم، وهي عبارة عن خوف منشأه التعظيم، لأن من لا يخاف لا يسمّى هايباً، والمخافة من العقرب والحية وسائر الموذيات ومن العقوبة وسوء خلق العبد وما يجري مجرى ذلك من الأسباب الخسيسة لا تسمّى مهابة، فالهيبة خوف مصدره الإجلال، وهي متولّدة من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ أمره ومشيّته فيه مع قلة مبالاته به، وأنّه بحيث لو أهلك الأوّلين والآخرين لم ينقص من ملكه مثقال ذرّة، لا سيّما إذا انضم إلى ذلك ملاحظة ما جرى على الأنبياء عليهم السلام والأولياء من أنواع المحن والمصائب والبلاء، وكلّما زاد العلم بالله وكبريائه زادت الهيبة والخشية، ولأجل ذلك قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

روى فضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **كان عليّ بن الحسين إذا قام إلى الصّلاة تغيّر لونه، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً**.

وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رأيت عليّ بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلاة غشي لونه لون آخر، فقال لي: «**والله إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يعرف الذي يقوم بين يديه**».

وعن جهم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أبي: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصّلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه شيء إلّا ما حركت الرّيح منه»[٢].

❁ رجاء المصلي لله تعالى

وأما الرجاء: فلا شك أنّه زائد على ما سبق؛ فكم من معظم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولا يرجو انعامه ومبرّته، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله

---

(١) المحاسن: ١/ ٢٥٢ ح٢٧٣، ووسائل الشيعة: ٤/ ٦٨٦ ح٧١٠٥.

(٢) دعائم الإسلام: ١/ ١٧٤، وشرح أصول الكافي: ٨/ ٢٣٧.



كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله، ومنشأ الرّجا معرفة لطف الحق وكرمه وعميم جوده وإحسانه وشمول رحمته وانعامه ومعرفة صدقه في وعده على الصلاة بالثواب وبشراه بالجنّة وحسن المآب، فبمجموع المعرفة بلطفه سبحانه والمعرفة بصدقه يحصل الرجاء.

قال رسول الله ﷺ: «الصّلاة مرضاة الله، وحبّ الملائكة، وسنّة الأنبياء ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدّعاء، وقبول الأعمال، وبركة في الرّزق وراحة في البدن، وسلاح على الأعداء، وكراهة الشّيطان، وشفيع بين صاحبها وملك الموت، والسراج في القبر، وفراش تحت جنبه، وجواب منكر ونكير، ومؤنس في السّراء والضّراء، وصائر معه في قبره إلى يوم القيامة»[1].

۞ حياء المصلي

وأما الحياء: فزيادته على ما سبق واضحة، لأن مستنده استشعار تقصير وتوهّم ذنب، ويتصور التعظيم والخوف والرّجاء من غير حياء، حيث لا يتوهم تقصير وخطأ ومنشأ استشعار التقصير وتوهّم الذّنب علم المكلف بالعجز عن القيام بوظائف العبودية والتعظيم على ما يليق بحضرة الرّبوبيّة سبحانه، ويزيد ذلك بالإطلاع على كثرة عيوب النّفس وآفاتها، وفرط رغبتها في أفعالها وحركاتها وسكناتها إلى الدّنيا وشهواتها، وقلة إخلاصها في طاعاتها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله وعظمته وكبرياؤه، ومع المعرفة بأنه خبير بصير مطلع على السرائر عالم بالضمائر؛ وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها الحياء.

۞ أعضاء الصلاة

وأما أعضاء الصلاة وأشكالها فهي: القيام، والقعود، والقراءة، والتشهد، والركوع، والسجود، وظاهرها يرتبط بظاهر الإنسان، وبه يكلف العوام الذين درجتهم درجة الأنعام، ليمتازوا بذلك التعبّد الظاهري عن سائر أنواع الحيوان في العاجل، ويستحقوا به نوعاً من الثواب في الآجل، وباطنها يلتزم بباطن الإنسان ممن له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

---

(١) الكافي: ٣/ ٣٠٠ ح٤، ووسائل الشيعة: ٤/ ٦٨٥ ح٧١٠٠.



❁ صلاة الظاهر

أمّا صلاة الظّاهر المأمور بها شرعاً والمفروضة على كافة المكلّفين سمعاً فأعدادها معلومة، وأوقاتها مرسومة، وأركانها مضبوطة، وأحكامها في الكتب مسطورة، لا حاجة بنا إلى تفصيلها لشهرتها، وكفاية الكتب الفقهيّة في تعيين شرائطها وأحكامها.

❁ صلاة الباطن

وأمّا صلاة الباطن وصلاة أهل الخصص فنشير إلى بعض أسرارها ويسير ممّا ينبغي لها لتكون على ذكر منها عند القيام بها، وتأتي بها على وجه البصيرة والمعرفة إن كنت من أهل القرب والطّاعة فنقول وبالله التوفيق.

❁ أسرار طهارة المصلي

أما الطهارة: فإذا أتيت بها في مكانك وهو طرفك الأبعد، ثمّ في ثيابك وهو غلافك الأقرب، ثمّ في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن تطهير ذاتك وإزالة رجس الشيطان عن لبّك بالتوبة والنّدم على التفريط في جنب الله كما قال سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[1] فطهّر قلبك فإنّه منظر معبودك.

❁ أسرار شروط الصلاة

أما ستر العورة: فمعناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، أعني سكان عالم الأرض، فإذا وجب عليك ستر ظاهر البدن عن الخلق وهم مخلوق مثلك فما ظنك في عورات باطنك وفضائح سترك الذي هو موضع نظر معبودك وخالقك، فإنها أولى بالسّتر وأحرى، فاحضر تلك الفضائح ببالك، وطالب نفسك بسترها بالنّدم والخوف والحياء، ونزل نفسك منزلة العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف.

وأما الاستقبال: فهو صرف ظاهر وجهك من سائر الجهات إلى جهة البيت الحرام، أفترى أنك مأمور بذلك ولست مأموراً بتوجيه قلبك إلى معبودك، فليكن وجه

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ٤ ـ ٥.



قلبك مع وجه بدنك، وكما لا يمكن التوجّه بالبيت إلّا بالالتفات عن سائر الجهات، فكذلك لا يمكن التّوجّه إلى الحقّ، إلا بالإعراض عن كل ما عداه، والانقطاع بكلّيته إلى الله.

وأما القيام: فليكن على ذكرك في الحال خطر القيام بين يدي الربّ المتعال في القيامة وهول المطّلع في مقام العرض والسّؤال حين ما أيقن أهل الجرائم بالعقاب وعاينوا أليم العذاب، فقم بين يديه سبحانه قيام عبد ذليل بين يدي ملك جليل، وعليك بخفوت أطرافك وهدر أطراقك وسكون جوارحك وخشوع أجزائك وحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وزن نفسك قبل أن توزن.

وأما النيّة: فاعلم أن الأعمال بالنيات وأنّ النّية رأس العبادات، فاجتهد في تحصيل الإخلاص رجاء للثّواب وخوفاً من العقاب وطلباً للقرب إلى رب الأرباب.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان أوّل صلاته بنية يريد بها ربه فلا يضره ما دخله بعد ذلك فليمض في صلاته وليخسأ الشيطان»[1]

وأما التكبير: فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذّبه قلبك، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله وأنت أطوع له منك لله فقد اتخذته إلهاً لك ومعبوداً من دون الله كما قال عزّ من قائل: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[2]، فقولك: «الله أكبر» يكون حينئذ كلاماً بمجرّد اللّسان من دون أن يساعده القلب والجنان، فيشهد الله سبحانه عليك بأنك لكاذب في تكبيره وتعظيمه كما شهد على المنافقين بأنهم لكاذبون في قولهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾[3]، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التّدارك بالتوبة والاستغفار.

---

(١) شجرة طوبى: ٢/ ٤٤٠، ومستدرك سفينة البحار: ٦/ ٣٥١.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.
(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.



۞ أسرار القراءة في الصلاة

وأما القراءة: فالناس فيها على ثلاثة أقسام: السّابقون وهم المقرّبون، وأصحاب اليمين وهم أهل الجنّة، وأصحاب الشّمال وهم أهل النّار، فرجل يتحرك لسانه وقلبه غافل عما هو فيه ويتكلّم به، بل مشغول الفكر بأعراض نفسه ومعاملاته وتجاراته وخصوماته وغيرها.

ورجل يتحرّك لسانه وقلبه يتبع اللّسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهو مقام أصحاب اليمين.

ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أوّلاً ثمّ يخدم اللّسان القلب فيترجمه، كما ربّما يخطر ببالك شيء فينبعث منك داعية الشّوق إلى التكلم به، وفرق بين أن يكون اللّسان ترجمان القلب وبين أن يكون القلب ترجماناً تابعاً للسان، والمقرّبون لسانهم ترجمان قلوبهم.

وتوضيح ترجمة المعاني: أنك إذا قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، فادفع وساوس قلبك وعجب نفسك، وطهر ساحة قلبك من خطرات إبليس وأحاديث النفس ليتيسّر لك الدّخول في باب الرّحمة فينفتح لك باب الملكوت بالمغفرة وباب الجبروت بالفضل والكرامة.

وإذا قلت: بسم الله الرّحمن الرّحيم، فانو به التبرك باسمه، واعلم أن الأمور كلّها بالله وهي من فيض رحمته في الدّنيا والآخرة، فإذا كانت النعم الدّنيويّة والأخرويّة مبدؤها وجوده وكانت كلها من بَحرِ كَرَمِهِ وجهوده كما قال عزّ من قائل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ فاعلم أنه لا يليق الحمد والثناء إلّا لله سبحانه، فقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فلو كنت ترى نعمة من عند غيره وتتوقع منه الوصول إليها وتقرع بيد السّؤال بابه بزعم استقلاله فيها لا باعتقاد أنه واسطة في إيصالها إليك وآلة لوصولها إلى يديك فتشكره بذلك، ففي تسميتك وتحميدك نقصان وأنت بقدر التفاتك إلى غيره كاذب فيهما.

ثم اعلم أنك تأسّيت في تحميدك لله بالملائكة المقربين حيث قالوا قبل أن يخلق الله سبحانه هذه النشأة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

وبعباد الله الصّالحين، حيث إنهم بعد ما يحكم بينهم وبين المجرمين يوم الحاقة بالحق فيحمدون ربهم كما أخبر عنهم بقوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ



﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(١)]، وبعد ما يعبرون الصراط ويجدون رائحة الجنان يقولون: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

وبعد ما يتمكنون في قصور الجنّات ويجلسون وسط الرّوضات يقولون: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(٣)].

وبعدما ينالون غاية الآمال ويجزون الحسنى بالأعمال يكون آخر كلامهم حمد الرّب المتعال، ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[(٤)].

فإذا كان بداية العالم ونهايته مبنيّة على الحمد فاجتهد أن يكون بداية عملك ونهايته كذلك، وكما أن حمد هؤلاء المقرّبين ناشئ عن وجه الإخلاص واليقين، فليكن ثناؤك كذلك.

وإذا قلت: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فاعلم أنّه سبحانه مربيك ومربي سائر الخلائق أجمعين، حيث إنه خلقهم وساق إليهم أرزاقهم ودبّر أمورهم وقام بمصالحهم وبدأ بالآمال قبل السؤال، وأنه رباهم بعظيم ما لديه من دون جلب ربح ومنفعة منهم إليه كما هو شأن سائر المربين والمحسنين، فإنهم إنما يربون ويحسنون ليربحوا على ذلك وينتفعوا بذلك إما ثواباً أو ثناء، فإذا كان تربيته كذلك فلينبعث منك مزيد شوق ورجاء إلى فضله ونواله.

وليشتد ذلك الرّجاء إذا قلت: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فإن رحمته سبحانه لا نهاية لها، فبرحمته الرّحمانية خلق الدّنيا وما فيها، وبرحمته الرّحيميّة يجزي المؤمنين الجزاء الأوفى، وهو الذي ينادي عبده ويشرفه بألطف الخطاب حين ما واراه في التراب،

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٥.
(٤) سورة يونس، الآية: ١٠.



وودعه الأحباب ويقول: عبدي بقيت فريداً وحيداً فأنا أرحمك اليوم رحمة يتعجب الخلائق منها.

ثمّ لا تغتر بذلك ولا تأمن من غضبه واستشعر من قلبك الخوف.

وإذا قلت: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، فاحضر في نظرك أنواع غضبه وقهره على أهل الجرائم والجرائز واعلم أنّه مانع ذلك اليوم من سخطه ولا رادّ من عقابه، لانحصار الملك يومئذ فيه، فليس لأحد لجأ يؤويه.

ثمّ إذا حصلت بين الخوف والرّجاء فجرد الإخلاص والتوحيد وقل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي لا يستحق العبادة إلّا أنت ولا معبود سواك ولا نعبد إلّا إيّاك، وتفطّن لسرّ التكلم بصيغة الجمع نكتة تشريك الغير معك في الإذعان بالعبودية، وهو أن من باع أمتعة كثيرة صفقة بعضها صحيح وبعضها معيب فاللازم على المشتري إمّا قبول الجميع أو ردّ الجميع، ولا يجوز له ردّ المعيب وأخذ الصحيح، فههنا قد مزجت عبادتك بعبادة غيرك من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وعباد الله الصّالحين، وعرضت الجميع صفقة واحدة على حضرة ربّ العالمين، فهو سبحانه أجل من أن يرد المعيب ويقبل الصحيح، فإنّه قد نهى عباده عن ذلك فلا يليق بكرمه ذلك، كما لا يليق به ردّ الجميع لكون بعضها مقبولاً البتة فلم يبق إلّا قبول الجميع وهو المطلوب.

ثمّ القيام منك بوظائف العبودية والإتيان بلوازم الطّاعة لما لم يكن ممكناً إلّا بإعانة منه سبحانه وإفاضة منه الحول والقوة إليك فتضرع إليه تعالى واطلب منه التوفيق والإعانة وقل: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وتحقق أنه ما تيسّرت طاعتك إلّا بإعانته وأنّه لولا توفيقه لكنت من المطرودين مع الشّيطان اللعين، وإذا أظهرت حاجتك إليه سبحانه في إفاضته الإعانة والتّوفيق فعين مسؤولك واطلب منه تعالى أهم حاجاتك وليس ذلك إلّا طلب القرب من جواره؛ ولا يكون ذلك إلا بالحركة والسكون نحوه وسلوك السبيل المؤدّي إليه ولا يمكن ذلك إلّا بهدايته سبحانه فقل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، قال الصادق عليه السلام: يعني أرشدنا للزوم الطّريق المؤدّي إلى محبّتك والمبلغ إلى جنّتك والمانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك»[1].

---

(١) انظر عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٧٣ ح٦٥.



وزد ذلك شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً بقولك: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وهم الذين أنعم عليهم بالتوفيق والطّاعة لا بالمال والصحة وهم الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[1].

وأمّا الذين أنعم عليهم بالمال والصّحة فربما يكونون كفّاراً أو فسّاقاً من الذين لعنهم الله وغضب عليهم، أو من الضّالين المكذّبين، ولذلك حسن التأكيد بأن تقول: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهم اليهود، قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾[2] ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم النّصارى، قال الله فيهم ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾[3].

❁ بقية أسرار شرائط الصلاة

فإذا فرغت من قراءة فاتحة الكتاب فاقرأ ما شئت من السّور، وعليك بالترتيل وتعمد الإعراب في ألفاظ ما تقرؤها والتّفكّر في معناها، وسؤال الرحمة والتّعوذ من النقمة عند قراءة آيتيهما، ثم إذا فرغت من القراءة فجدّد ذكر كبرياء الله سبحانه وعظمته وارفع يديك حيال وجهك وقل: «الله أكبر» استجارة بعفوه عن عقابه وإتباعاً لسنّة رسوله.

ثمّ تستأنف له ذلّا وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وفي استشعار الخشوع له، وعليك بالطمأنينة والوقار وتسوية ظهرك ومدّ عنقك.

فقد قال أبو جعفر ﷺ: «من أتمّ ركوعه لم يدخله وحشة في القبر».

وفي مرفوعة أبي القاسم بن سلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع لو صبّ على ظهره ماء لاستقر، وأمّا مدّ العنق فمعناه إنّي آمنت بك ولو ضربت عنقي.

ثمّ تشهد على ربّك بالعظمة وأنّه أعظم من كلّ عظيم فتقول: سبحان ربّي العظيم

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٠.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

ويحمده، وتكرر ذلك على القلب وتؤكده بالتكرير، ثمّ تنتصب قائماً وتقول: سمع الله لمن حمده والحمد لله ربّ العالمين.

ثمّ تهوى إلى السّجود وهو أعلى درجات التذلّل والاستكانة حيث الصقت أعز جوارحك وأشرفها وهو الجبهة بأذل الأشياء وأخسّها وهو التراب، وقد نهيت عن السجود على الذهب والفضّة والمطاعم والملابس، لأنها متاع الحياة الدّنيا والسجدة زاد الآخرة.

روى الصّدوق بإسناده عن هشام بن الحكم أنّه قال لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عمّا يجوز السجود عليه وعما لا يجوز، قال عليه السلام: «السجود لا يجوز إلّا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلا ما أكل أو لبس.

فقال له: جعلت فداك ما العلة في ذلك؟

قال: لأن السّجود خضوع لله عزّ وجلّ فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأنّ أبناء الدّنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده في عبادة الله عزّ وجلّ فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود أبناء الدّنيا الذين اغتروا بغرورها»[1].

وأما تعدد السجود فسرّه ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام حيث سأله رجل ما معنى السجدة الأولى؟ فقال: تأويلها: اللّهم منها خلقتنا يعني من الأرض، وتأويل رفع رأسك: ومنها أخرجتنا، والسجدة الثانية: وإليها تعيدنا، ورفع رأسك منها: ومنها تخرجنا تارة أخرى».

أقول: وهو مأخوذ من قوله سبحانه في سورة طه: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[2].

ثمّ تجلس لتشهد على يسارك وترفع يمينك وتأويل ذلك: اللّهم أمت الباطل وأقحم الحق، فتجدد العهد لله سبحانه بالشهادة بالتوحيد وللنبي بالشهادة بالرّسالة، وتصلّي عليه وآله الذين هم وسائط الفيوضات النازلة، وبهم قبول الصّلاة وسائر العبادات، وبالتقرّب

(١) الكافي: ٣/ ٢٦٨ ح٣، ووسائل الشيعة: ١/ ٨٠ ح٣.
(٢) سورة طه، الآية: ٥٥.



إليهم يرجى نزول الرّحمة من الحق، لكونهم ﷺواسطة بينك وبين الرسول كما أنّه واسطة بين الله وبين الخلق.

ثمّ احضر شخصه في قلبك وقل: السّلام عليك أيّها النّبي ورحمة الله وبركاته، لتدخل في زمرة المؤمنين المحبين لنداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ﴾ تسليماً، ثمّ سلم على نفسك وعلى عباد الله الصّالحين، وتأمل أن الله يردّ عليك سلاماً بعدد عباده الصالحين.

وأما قولك: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فتقصد بخطابك فيه الأنبياء والملائكة والأئمة عليهم السلام والمؤمنين من الجن والإنس وتحضرهم ببالك وتخاطبهم به، وإلا كان التسليم بصيغة الخطاب لغو وإن كان مخرجاً عن العهدة، وحقيقة هذا التسليم هو الرّجوع عن الحقّ إلى الخلق، فإنّ الصّلاة معراج للمؤمن ومناجاة للعبد مع معبوده وحضور له مع الله وغيبته له عما سواه، فإذا انصرف منه لزم عليه تجديد العهد بالخلق والتّسليم عليهم كما يسلم الغائب إذا قدم من سفره[1].

١١ ـ حق الحج

قال ﷺ: وحق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله تعالى عليك.

الحج هو عبارة عن مجموعة أعمال عبادية يقوم بها الحاج في مكة المكرمة (في السعودية) ومِنى وجبل عرفات والمزدلفة قربة لله تعالى.

وواجب على كل مكلّف ـ ذكراً أم انثىً ـ أن يذهب الى حج بيت الله الحرام في العمر مرة واحدة إن توفرت لديه الشروط التالية: وجود مال يكفيه لسفرة الحج ويبقى منه لنفقة عياله بقية السنة، وإمكان ذهابه الى مكة المكرمة وعدم وجود الموانع.

وللحج آثار كثيرة مادية ومعنوية نشير الى بعضها:

---

(١) انظر شرح النهج لحبيب الله الخوئي: ٧/ ٣٢٥.



❁ آثار الحج

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **إنَّ أَفْضَلَ ما تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ الإِيمانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ، وحِجُّ الْبَيْتِ واعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُما يَنْفِيانِ الْفَقْرَ ويَرْحَضانِ الذَّنْبَ**[1].

قال شارح النهج: قوله: (حجّ البيت واعتماده فإنّهما ينفيان الفقر ويرحضان الذّنب) أي يغسلانه ويطهّرانه وقد مضى الكلام في فضل الحج والمشاعر العظام وفضل البيت الحرام بما لا مزيد عليه في شرح الفصل الثامن عشر من فصول الخطبة الأولى، ونورد هنا ما لم يسبق ذكره هناك.

فأقول: تعليل الحج والاعتمار بنفي الفقر، ورحض الذنب إشارة إلى أن فيهما جمعاً بين منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة وإلى ذلك أشار سبحانه في سورة الحج بقوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[2].

قال ابن عباس: يعني بالمنافع التجارات.

وقال سعيد بن المسيّب وعطيّة: هي منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة، وقال مجاهد: هي التّجارة في الدّنيا والأجر والثّواب في الآخرة.

ويشعر به المرويّ عن الصّادق عليه السلام حيث قال في رواية: «**إنّي سمعت الله عزّ وجل يقول: ليشهدوا منافع لهم.**

فقيل: منافع الدّنيا أو منافع الآخرة؟ فقال: الكلّ»[3].

وفي «الفقيه» قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من حاجّ يضحّي ملبياً حتّى تزول الشمس إلّا غابت ذنوبه معها، والحجّ والعمرة ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد»[4].

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢١٥.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) النوادر: ١٣٩ ح٣٥٩، والكافي: ٤/ ٢٥٥ ح١٢.

(٤) الكافي: ٤/ ٢٦١ ح٣٦، ووسائل الشيعة: ١١/ ١٢٤ ح١٤٤١٥.



وفي «الكافي» بإسناده عن خالد القلانسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال عليّ بن الحسين عليه السلام: **حجوا واعتمروا تصح أبدانكم وتتسع أرزاقكم وتكفون مؤنات عيالاتكم**».

وقال «**الحاج مغفور له وموجوب له الجنّة ومستأنف له العمل ومحفوظ في أهله وماله**»[١].

وعن السّكوني عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الحجة ثوابها الجنّة، والعمرة كفّارة لكلّ ذنب**»[٢].

وعن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي قد وطنت نفسي على لزوم الحج كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي.

فقال «وقد عزمتُ على ذلك؟

قال: قلت، نعم.

قال: إن فعلت فأيقن بكثرة المال»[٣].

وعن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**قال رسول الله لا يخالف الفقر والحمى مدمن الحج والعمر**».

وعن أبي محمّد الفرا قال: سمعت جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: «قال رسول الله «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[٤].

وعن ابن الطيّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**حجج تترى وعمر تسعى يدفعن عيلة الفقر وميتة السّوء**»[٥].

ومن خلاصة هذه الروايات للحج فوائد مادية ومعنوية أما المادية فهي نفي الفقر والمرض، وحفظ المال والعيال، وطول العمر.

أما المعنوية فهي قبول التوبة وغفران الذنب ووجوب الجنة ولزومها.

---

(١) الكافي: ٤/ ٢٥٣.
(٢) وسائل الشيعة: ١١/ ٩٦.
(٣) وسائل الشيعة: ١١/ ١٣٣.
(٤) الكافي: ٤/ ٢٥٥.
(٥) الكافي: ٤٠/ ٩، وتهذيب الأحكام: ٤/ ١٠٥.



١٢ ـ حق الصوم

قال عليه السلام: وحق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك، ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك (وهكذا جاء في الحديث «الصوم جنة من النار»[1] فإن سكنت أطرافك في حجبتها رجوت أن تكون محجوبا وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنبات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حد التقية لله، لم يؤمن أن تخرق الحجاب، وتخرج منه، ولا قوة إلا بالله تعالى)[2].

❁ أهمية الصوم وآثاره

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **إِنَّ أَفْضَلَ ما تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ الإِيمانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ، وصَوْمُ شَهْرِ رَمَضان فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ.**

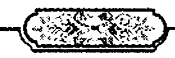
قال شارح النهج: قوله عليه السلام: (صوم شهر رمضان فإنّه جنّة من العقاب) ووقاية من النّار يوم الحساب، وإنما خصّه بهذه العلة مع كون سائر العبادات كذلك لكونه أشد وقاية من غيره.

بيان ذلك: أن استحقاق الإنسان للعقوبة إنما هو بقربه من الشيطان وإطاعته له وللنفس الأمّارة، وبشدّة القرب وضعفه يتفاوت العقاب شدة وضعفاً، وبكثرة الطاعة وقلّتها يختلف العذاب زيادة ونقصاناً، وسبيل الشيطان على الإنسان ووسيلته إليه إنّما هي الشّهوات، وقوة الشهوة بالأكل والشرب، فبالجوع والصوم يضعف الشهوة وينكسر صولة النفس وينسدّ سبيل الشيطان وينجي من العقوبة والخذلان، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: **إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع**[3].

وقال صلوات الله عليه وآله لعائشة: «داومي قرع باب الجنّة، قالت: بماذا؟ قال: بالجوع».

---

(١) البحار: ٧١/ ١٢.
(٢) من نسخة أخرى.
(٣) علل الشرائع: ٢/ ٣٧٨ ح٢، ووسائل الشيعة: ١٠/ ٧ ح١٢٦٩٧.



قال الغزالي في «إحياء العلوم» في تعداد فوائد الجوع.

«الفائدة الخامسة» وهي من أكبر الفوائد: كسر شهوات المعاصي كلّها والاستيلاء على النّفس الأمارة بالسّوء، فإن منشأ المعاصي كلّها الشهوات والقوى ومادة الشّهوات والقوى لا محالة الأطعمة، فتقليلها يضعف كلّ شهوة وقوة، وإنّما السّعادة كلّها في أن يملك الرّجل نفسه، والشقاوة في أن تملكه نفسه، وكما أنّك لا تملك الدّابة الجموح إلّا بضعف الجوع، فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس، وهذه ليست فائدة واحدة، بل هي خزائن الفوائد، ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله.

فقد اتضح ذلك كون الصّوم جنّة من النّار، ووقاية من غضب الجبّار، وأن فيه من إذلال النّفس وقهر إبليس وكسر الشهوات ما ليس في سائر العبادات وهو واجب بالضرورة من الدّين وإجماع المسلمين ونصّ الكتاب المبين قال سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(١).

قال الصادق عليه السلام في هذه الآية: لذّة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء(٢).

عن حفص بن غياث النخعي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأمم قبلنا، فقلت له: فقول الله عزّ وجلّ»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٨٣ ـ ١٨٥.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٧٣ ح١٧٦٧ وعلل الشرائع: ٢/ ٣٧٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.



قال: «إنما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضل الله به هذه الأمّة وجعل صيامه فرضاً على رسول الله وعلى أمّته»[١].

❁ علة وجوب الصوم

في «الفقيه» سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عن علّة الصّيام فقال عليه السلام: «إنما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك إن الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، لأنّ الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله أن يسوّي بين خلقه وأن يذيق الغني مسّ الجوع والألم ليرق على الضعيف ويرحم الجائع»[٢].

وكتب أبو الحسن علي بن موسى الرّضا عليه السلام إلى محمّد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله: «علّة الصّوم عرفان مسّ الجوع والعطش ليكون ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً ويكون ذلك دليلاً له على شدائد الآخرة، مع ما فيه من الانكسار له عن الشّهوات واعظاً له في العاجل دليلاً على الأجل ليعلم شدّة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدّنيا والآخرة».

وروى عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم من مسائل فكان فيما سأله أنّه قال: لأي شيء فرض الله الصّوم على أمّتك بالنّهار ثلاثين يوماً وفرض على الأمم أكثر من ذلك؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على ذريّته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والذي يأكلونه باللّيل تفضل من الله عليهم وكذلك كان على آدم ففرض الله عزّ وجلّ ذلك على أمّتي ثمّ تلى هذه الآية»[٣]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[٤].

قال اليهودي: صدقت يا محمّد فما جزاء من صامها؟

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٤٤، والأمالي: ٢٦٠.
(٢) الكافي: ٤/ ٦٢ ح١، ومن لا يحضره الفقيه: ٢/ ٧٤.
(٣) فضائل الأشهر الثلاثة: ١٢٠ ح١٢٠، وروضة الواعظين: ٣٤٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.



فقال النبيّ ﷺ: «ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلّا أوجب الله له سبع خصال: أولها: يذوب الحرام من جسده،

والثانية: يقرب من رحمة الله.

والثالثة: يكون قد كفر خطيئة أبيه آدم.

والرابعة: يهوّن الله عليه سكرات الموت.

والخامسة: أمان من الجوع والعطش يوم القيامة.

والسادسة يعطيه الله براءة من النّار.

والسّابعة: يطعمه الله من طيّبات الجنّة.

قال: صدقت يا محمّد»[1].

۞ فضل الصوم

ففي «الكافي» و«الفقيه» عن أبي جعفر ﵇: قال: «بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصّلاة، والزّكاة، والصوّم، والحج، والولاية، وقال رسول الله: الصّوم جنّة من النار»[2].

وفيهما عن النّبي ﷺ قال لأصحابه: «ألا أخبركم بشي إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: «الصوم يسوّد وجهه، والصّدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والموازرة على العمل الصّالح يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكلّ شيء زكاة وزكاة الأبدان الصّيام»[3].

وفيهما عن أبي عبد الله ﵇ قال: «أوحى الله إلى موسى ما يمنعك من مناجاتي؟

---

(١) فضائل الأشهر الثلاث: ١٠٢.

(٢) الكافي: ٤/ ٦٣ح٦، ومن لا يحضره الفقيه: ٢/ ٧٥ ح١٧٧٣.

(٣) وسائل الشيعة: ١٠/ ٣١٥ ح١٣٤٩٥.



فقال: يا ربّ أجلّك عن المناجاة لخلوف فم الصّائم، فأوحى الله إليه يا موسى لخلوف فم الصّائم أطيب عندي من ريح المسك».

وعنه ﷺ للصّائم فرحتان: «فرحة حين إفطاره، وفرحة حين لقاء ربّه»[١].

وقال ﷺ: «من صام لله يوماً في شدة الحرّ فأصابه ظمأ وكّل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه حتّى إذا أفطر قال الله عزّ وجلّ: ما أطيب ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا أني قد غفرت له».

وفي «الكافي» عن أبي الصباح عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى يقول: الصوم لي وأنا أجزي عليه»[٢]، ورواه في «الفقيه» عن رسول الله مثله إلّا أن فيه (به) بدل (عليه).

وتخصيصه من بين سائر العبادات مع كون جميعها لله سبحانه من جهة مزيد اختصاصه به تعالى، إمّا لأجل أنّ الصّوم عبادة لم يعبد بها غير الحقّ سبحانه بخلاف سائر العبادات والرّكوع والقيام والقربان ونحوها، فإنها ربما تؤتى بها للمعبودات الباطلة كما يعبد بها للمعبود بالحق، وأما الصّوم فلم يتعبّد به إلّا الله سبحانه وتعالى، أو لأن الصوم عبادة خفيّة بعيدة عن الرّياء وليست مثل سائر العبادات التي تعلّقها بالجوارح والأعضاء الظاهرة غالباً، ولذلك لم تسلم من الشرك الخفي والرياء كثيراً.

❁ فضل الصوم في شهر رمضان

ففي «الوسائل» عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **أعطيت أمّتي في شهر رمضان خمساً لم يعطها الله أمة نبي قبلي إذا كان أولّ يوم منه نظر الله لهم فإذا نظر الله عزّ وجلّ إلى شيء لم يعذّبه بعدها، وخلوف أفواههم حين تمسون أطيب عند الله من ريح المسك، ويستغفر لهم الملائكة كلّ يوم وليلة منه، ويأمر الله عزّ وجلّ جنته فيقول تزيّني لعبادي المؤمنين يوشك أن يستريحوا من نصب الدّنيا وأذاها إلى جنّتي وكرامتي، فإذا كان آخر ليلة منه غفر الله عزّ وجلّ لهم جميعاً.**

---

(١) الكافي: ٤/٦٨ ح٧، والأمالي: ١١٣ ح٩١.

(٢) الأمالي: ٧١ ح٣٨، وبحار الأنوار: ٩٣/٣٥٦ ح٢٤.

وعن عليّ بن موسى الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رجب شهر الله الأصب وشهر شعبان تتشعب فيه الخيرات وفي أوّل يوم من شهر رمضان تغل المردة من الشياطين ويغفر في كلّ ليلة لسبعين ألفاً فإذا كان ليلة القدر غفر الله لمثل ما غفر في رجب وشعبان وشهر رمضان إلى ذلك اليوم إلّا رجل بينه وبين أخيه شحناء، فيقول الله عزّ وجلّ: انظروا هؤلاء حتي يصطلحوا»[1].

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقول: **إنّ لله عزّ وجلّ في كلّ ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كلّ قد استوجب النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق مثل ما أعتق في جميعه**[2].

وعن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال: **«من صام شهر رمضان وحفظ فرجه ولسانه وكفّ أذاه عن النّاس غفر الله له ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخّر، وأعتقه من النّار، وأدخله دار القرار، وقبل شفاعته بعدد رمل عالج من مذنبي أهل التّوحيد»**[3].

❁ خطبة النبي في فضل شهر رمضان

وفي «العيون» بإسناده عن حسن بن فضال عن أبيه عن الرّضا عن آبائه عن عليّ عليه السلام: إن رسول الله خطب ذات يقوم فقال: «أيّها النّاس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرّحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشّهور، وأيّامه أفضل الأيّام، ولياليه أفضل اللّيالي، وساعاته أفضل السّاعات، وهو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب فاسألوا الله ربّكم بنيّات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عما لا يحلّ

(١) الأمالي: ١٥٥، ووسائل الشيعة: ١٠/ ٣١٤.
(٢) الأمالي: ١٥٥، وروضة الواعظين: ٣٤٦.
(٣) النوادر: ٢١ ح٩، والكافي: ٤/ ٨٧ ح١.



النظر إليه أبصاركم، وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدّعاء في أوقات صلاتكم، فإنّها أفضل السّاعات ينظر الله عزّ وجلّ فيها إلى عباده يجيبهم إذا ناجوه، ويلبّيهم إذا نادوه، ويعطيهم إذا سألوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيّها النّاس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والسّاجدين، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أيّها النّاس من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة، ومغفر لما مضى من ذنوبه».

فقيل: يا رسول الله فليس كلنا نقدر على ذلك؟

فقال ﷺ: «اتقوا النّار ولو بشق تمرة، اتقوا النّار ولو بشربة من ماء».

«أيها الناس من حسّن في هذا الشهر منكم خُلُقه كان له جوازاً على الصّراط يوم تزلّ فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشّهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وَصَل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلوات عليّ ثقل الله له ميزانه يوم تخفّ الموازين، ومن تلى فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيّها النّاس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فقمت وقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟

(١) الكافي: ٤/٨٨ ح٦، ووسائل الشيعة: ١٠/١٦٩ ح١٣١٣٨.



فقال ﷺ: «يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ، ثمّ بكى. فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك، فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك ثمّ قال: يا علي من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، لأنّك مني كنفسي وطينتك من طينتي وأنت وصيّي وخليفتي على أمتي»(١).

❁ آداب الصوم

إنّ الصّوم على ثلاث مراتب ودرجات بعضها فوق بعض:

الأولى: صوم العموم.

الثانية: صوم الخصوص.

الثالثة: صوم الأخص.

أما صوم العموم فهو المفروض على عامة المكلّفين، وهو الكفّ عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى الغروب الشرعي مع النيّة، والمشهور في المفطرات أنها عشرة: الأكل، والشرب، والجماع، والبقاء على الجنابة عمداً، وفي حكمه النوم بعد انتباهتين، والغبار الغليظ، وفي حكمه الدخان كذلك، والكذب على الله سبحانه ورسوله والأئمة عليهم السلام، والارتماس، والاستمناء مع خروج المني، والحقنة، والقيء والتفصيل مذكور في الكتب الفقهيّة.

وأمّا صوم الخصوص فهو أن يكون جامعاً لشرائط الكمال مضافة إلى شرائط الصحّة كما أشار إليه الإمام سيّد الساجدين وزين العابدين في دعائه عند دخول شهر رمضان حيث قال ﷺ: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وألهمنا معرفة فضله واجلال حرمته والتحفظ ممّا حظرت فيه، وأعنّا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك واستعمالها بما يرضيك حتى لا نصغي باسماعنا إلى لغو ولا نسرع بأبصارنا إلى لهو،

---

(١) الأمالي: ١١٨، وبحار الأنوار: ٩٣/ ٣٧٩ ح٢.



وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور ولا نخطو أقدامنا إلى محجور، وحتّى لا تعي بطوننا إلّا ما أحللت ولا تنطق ألسنتنا إلّا بما مثلت، ولا نتكلّف إلا ما يدنى من ثوابك ولا نتعاطي إلّا ما يقي من عقابك، ثمّ خلص ذلك كلّه من رياء المرائين وسمعة المسمعين لا نشرك فيه أحداً دونك، ولا نبغي به معبوداً سواك».

ومحصّل شروط الكمال أن لا يكون يوم صومه كيوم فطره، ومداره على أمور:

منها: غضّ السّمع والبصر عن محارم الله، وعن كلّ ما يلهي النّفس عن ذكر الله، وكذلك حفظ سائر الأعضاء عن المعاصي والآثام.

قال أبو عبد الله ﷺ في رواية «الكافي»: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدد أشياء غير هذا وقال: لا يكون يوم صومك كيوم فطرك[١].

ومنها: حفظ اللّسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنّميمة والفحش والخصومة بل عن مطلق التكلّم إلا بذكر الله.

روى في «الكافي» عن جراح المدائني عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إنّ الصيام ليس من الطّعام والشراب وحده ثمّ قال: قالت مريم: إنّي نذرت للرحمن صوماً أي صمتاً، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم وغضّوا أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا»[٢].

قال: وسمع رسول الله ﷺ امرأة تسبّ جارية لها وهي صائمة، فدعى رسول الله بطعام فقال لها: كلي، فقالت: إني صائمة، فقال: «كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، إنّ الصوم ليس من الطعام والشّراب»[٣].

قال: وقال أبو عبد الله ﷺ «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ودع المراء وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصّيام، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك»[٤].

---

(١) البحار: ٩٤/ ٣٥١.
(٢) البحار: ٩٤/ ٣٥١.
(٣) الكافي: ٤/ ٨٧.
(٤) وسائل الشيعة: ١٠/ ١٥٩ ح١٣١٠٩.



وعن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من عبد صالح يشتم فيقول: إني صائم سلام عليك لا أشتمك كما تشتمني إلّا قال الرّب تبارك وتعالى: استجار عبدي بالصّوم من شرّ عبدي وقد أجرته من النّار».

وعن حمّاد بن عثمان وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لا ينشد الشعر بليل ولا ينشد في شهر رمضان بليل ولا نهار، فقال له إسماعيل: يا أبتاه وإن كان فيناً، فقال: وإن كان فينا**»[1].

وبالجملة فاللازم على الصّائم التحفظ من سقطات اللّسان وفضول البيان والمواظبة على الاستغفار والدّعاء وتلاوة القرآن وسائر الأذكار.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدّعاء، فأما الدّعاء فيدفع به عنكم البلاء، وأمّا الاستغفار فتمحى به ذنوبكم**»[2].

وقال أبو عبد الله عليه السلام «وكان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا كان شهر رمضان لم يتكلّم إلّا بالدّعاء والتسبيح والاستغفار والتكبير فإذا أفطر قال: اللّهم إن شئت أن تفعل فعلت».

ومنها: ترك شمّ الرّياحين ولا سيّما النرجس.

ومنها: الكفّ عن الإفطار على الشّبهات، روى في «الوسائل» عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه قال: جاء قنبر مولى عليّ عليه السلام بفطره إليه فجاء بجراب فيه سويق وعليه خاتم قال: فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن هذا لهو البخل تختم على طعامك؟!

قال: فضحك ثمّ قال: «**أو غير ذلك لا أحبّ أن يدخل بطني شيء لا أعرف سبيله**»[3].

ومنها: أن لا يكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ ويثقل فما من وعاء أبغض إلى الله من بطن مملوء.

(١) مستدرك الوسائل: ١٦/٢١٦ ح١٩٦٣٩، والأمالي: ٣٤٠.
(٢) الكافي: ٤/ ٢٦٤ ح١، وميزان الحكمة: ٢/ ٩١٤ ح٥.
(٣) النوادر: ١٣٩ ح٣٥٩، والكافي: ٤/ ٢٥٥ ح١٢.



روى في «البحار» عن مجالس ابن الشّيخ (ره) بإسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل لإبليس مع يحيى قال: «قال يحيى: فهل ظفرت بي ساعة قط؟

قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيى: فما هي؟

قال: أنت رجل أكول فإذا أفطرت أكلت وشبعت، فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك باللّيل.

قال يحيى: فإني أعطي الله عهداً أني لا أشبع من الطعام حتى ألقاه.

قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً أني لا أنصح مسلماً حتى ألقاه ثمّ خرج فما عاد إليه»[١].

ومنها: أن يكون قلبه بعد الإفطار مضطرباً بين الخوف والرّجاء إذ لا يدري أن صومه مقبول فهو من المقرّبين أو مردود فهو من المحرومين.

مرّ بعض أصحاب العقول بقوم يوم عيدهم وهم ضاحكون مستبشرون فقال: إن الله سبحانه جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كلّ العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون[٢].

وأمّا صوم أخص الخواصّ فصوم القلوب عن الهمم الدّنيوية والأغراض الدّنية وكفّه عن التوجه إلى ما سوى الله بالكليّة لدوام استغراقه بالحق عن الالتفات بغيره، فالفطر في هذا الصّوم الذي هو فيه هو الفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وصرف الهمة في غير طاعة الله وطاعة رسوله من أغراض النفس ومقاصد الطبع.

---

(١) بحار الأنوار: ٩٦/ ٢٥ ح١٠٧، وميزان الحكمة: ١/ ٥٣٥.
(٢) انظر جامع السعادات: ٣/ ٣٠٤.



١٣ ـ حق الصدقة

قال ﷺ: وحق الصدقة أن تعلم أنها ذخرك عند ربك عزّ وجلّ ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، وكنت[١] بما تستودعه[٢] سراً أوثق منك بما تستودعه[٣] علانية، وتعلم أنها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة، (وكنت جديراً أن تكون أسررت إليه أمراً أعلنته، وكان الأمر بينك وبينه فيها سراً على كل حال ولم يستظهر عليه فيما استودعته منها إشهاد الأسماع والإبصار عليه بها، كأنها أوثق في نفسك وكأنك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك، ثم لم تمتن بها على أحد لأنها لك، فإذا امتننت بها لم تأمن أن يكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه، لأن في ذلك دليلاً على أنك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد ولا قوة إلا بالله تعالى)[٤].

ذكر ﷺ عدة حقوق للصدقة وفصّل بعض مطالبها ونحن نذكر بعض المطالب المهمة المتعلقة بالصدقة خاصة ما أشار إليه الإمام في رسالته، والتفصيل يؤخذ من كتاب معاجز الصدقة وآثارها.

۞ معنى الصدقة

الصدقة هي الشيء الذي يخرجه الشخص من ماله أو جهده أو عمله الى شخص آخر من دون مقابل.

وفي الروايات ما يوسع مفهوم الصدقة ليشمل كل معروف وبرّ ومنفعة مادية ومعنوية، قال النبي الأعظم ﷺ: إنَّ على كُلِّ مُسلم في كلِّ يَوم صَدَقةً.

قيلَ: مَن يُطِيقُ ذلكَ؟

قالَ ﷺ: إماطَتُكَ الأذى عنِ الطَّريقِ صَدَقةٌ، وإرشادُكَ الرَّجُلَ إلى الطَّريقِ صَدَقةٌ،

---

(١) في نسخة: فإذا علمت ذلك كنت.

(٢) في نسخة: استودعته.

(٣) في نسخة: استودعته.

(٤) من نسخة أخرى.



وعِيادَتُكَ المَريضَ صَدَقةٌ، وأمرُكَ بالمَعروفِ صَدَقةٌ، ونَهيُكَ عنِ المُنكَرِ صَدَقةٌ، وردُّكَ السَّلامَ صَدَقةٌ[١].

وقال ﷺ: كُلُّ مَعروف صَدَقةٌ[٢].

وعنه ﷺ: كُلُّ مَعروف صَدَقةٌ، وما وَقَى بهِ المَرءُ عِرضَهُ كُتِبَ لَهُ بهِ صَدَقةٌ[٣].

وعنه ﷺ: تَصَدَّقُوا على أخِيكُم بِعِلم يُرشِدُهُ ورَأي يُسَدِّدُهُ[٤].

وعنه ﷺ: إسماعُ الأصَمِّ صَدَقةٌ[٥].

وقال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: إسماعُ الأصَمِّ مِن غَيرِ تَضَجُّر صَدَقةٌ هَنيئةٌ[٦].

۞ آداب الصدقة والتصدق

وهي الأمور التي تحسّن الصدقة أو تحفظ كرامة المتصدق أو المتصدق عليه أو المؤسسة التي ترعى ذلك.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٧].

١ ـ الستر:

قال سبحانه وتعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ . . . وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٨].

---

(١) بحار الأنوار: ٩٦/ ١٣٤/ ٦٨ و٧٥/ ٥٠/ ٤.
(٢) الخصال: ١٣٤/ ١٤٥.
(٣) بحار الأنوار: ٩٦/ ١٨٢/ ٢٩.
(٤) بحار الأنوار: ٧٥/ ١٠٥/ ٤٠.
(٥) كنز العمّال: ١٦٣٠٣.
(٦) بحار الأنوار: ٧٤/ ٣٨٨/ ١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٨) سورة البقرة، الآيات: ٢٦٣، ٢٦٥.



قيل: إنّ معنى المغفرة هنا هو الستر والإخفاء، بمعنى ستر أسرار المحتاجين وفقرهم وطلبهم للمال حفاظاً على كرامتهم.

ومن هنا جاء الحث على صدقة السرّ حيث إن الذي يدفع الصدقة ليلاً أو سرّاً فإنه بطريق أولى لن يخبر أحداً عن أحوال الفقير الذي تصدق عليه.

وأيضاً لن يحرجه عند أخذ الصدقة أو استعمالها ممّا يحافظ على كرامة الفقير وسهولة التصدق عليه.

٢ ـ التحدث مع الفقير باللين والوقار والعفو:

قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(١).

قيل: إن المغفرة هنا بمعنى العفو واللين.

وقال رسول الله ﷺ: **«إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتّى يفرغ منها، ثمّ ردّوا عليه بوقار ولين إمّا ببذل يسير أو ردّ جميل، فإنّه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرونكم كيف صنيعكم فيما خوّلكم الله تعالى»**(٢).

٣ ـ عدم النظر بوجه الفقير:

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليه وقد تغيّر وجهه من الحياء فقال علي عليه السلام: اكتب حاجتك على الأرض حتى لا أرى ذلّ المسألة في وجهك.

فكتب عليه السلام:

لم يبق لي شيء يباع بدرهم ... تغنيك حالة منظري عن مخبري
إلا بقية ماء وجه صنته ... أن لا يباع ونعم أنت المشتري

فأمر الإمام علي عليه السلام بجمل يحمل ذهباً وفضةً ثم قال:

عاجلتنا فأتاك عاجل برنا ... فلا ولو أمهلتنا لم تقتر
فخذ القليل وكن كأنك لم تبع ... ما صنته وكأننا لم نشتر(٣)

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

(٢) مجمع البيان: ١/ ٣٧٥، نور الثقلين: ١/ ٢٨٣.

(٣) الإمام علي عليه السلام للهمداني: ٦٠١.



وهذا أحد أساليب التخفيف عن الفقير لحفظ ماء وجهه.

وهناك أساليب أخرى: كالمراسلة أو التلفون أو إيصال المال إليه بواسطة شخص يعرفه.

٤ ـ عدم المماطلة:

قال أمير المؤمنين ﷺ: شَرُّ النَّوالِ ما تَقَدَّمَهُ المَطلُ وتَعَقَّبَهُ المَنُّ[١].

وقال ﷺ: المَطلُ والمَنُّ مُنَكِّدا الإحسانِ.

وقال ﷺ: «المَطلُ عَذابُ النَّفسِ».

وقال ﷺ: «المَطلُ أحَدُ المَنعَين».

وقال ﷺ: «آفَةُ العَطاءِ المَطلُ».

وقال ﷺ: «ما أنجَزَ الوَعدَ مَن مَطَلَ بِهِ»[٢].

والمطل هو الوعد بإعطاء مال أو إسداء خدمة أو إعطاء قرض مالي في وقت معيّن أو مكان محدد وعدم الوفاء بهذا الوعد.

ممّا يجعل صاحب الحاجة ذليلاً ومهاناً أمام نفسه وأمام الناس وأمام صاحب المال.

فمن الآداب الإسلامية في خدمة الناس ومساعدتهم عدم المماطلة في ذلك، وتقديم ما هو متيسّر من المال أو المساعدة ولو كان قليلاً وعدم تأجيل ذلك.

وفي حديث أمير المؤمنين ﷺ: «المطل أحد المنعين»[٣]، مساواة بين عدم التصدق وبين المماطلة.

٥ ـ عدم استغلال الفقير نتيجة الصدقة:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ

---

(١) غرر الحكم: ٥٧٣١.

(٢) غرر الحكم: ٦٣٥، ١٥٩٥، ١٦٠٥، ٣٩٤١، ٩٥٣٤.

(٣) ميزان الحكمة: ٢/ ١٦٠٥ رقم ٢٢٤٣.



نَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

في قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ إشارة مهمة الى عدم استغلال الصدقة حتى للأهداف المشروعة والمحقة، فلا يجوز إجبار غير المسلمين على الإيمان والهداية ـ كما هو مورد نزول الآية ـ من أجل ما دفع لهم من مال مثلاً.

والآية إنما تجيز التصدق على غير المسلمين فيما إذا لم يكن موجباً لتقوية الكفر ودعم الاستكبار.

وكذلك في الصدقة على نفس المسلم أو المؤمن فلا يجوز استغلال الفقير أو المحتاج في ما يعطى له من أجل إرغامه على فعل شيء أو التصريح بما يوافق أهواءنا أو أعمالنا التجارية أو الدينية أو الإنسانية.

وإنّ كلّ شرط أو عمل أو حتى مدح يكون مقابل الهدية أو الصدقة هو أمر مناف للآداب الإسلامية والأخلاق الّتي أرادنا أهل البيت عليهم السلام التحلي بها.

بل قد تصل المسألة إلى الحرمة وعقاب الله تعالى فيما لو أدّى الاستغلال إلى الإهانة والتوهين أو إلى الاستفادة من وقت الفقير لعمل خاص مجاناً، كالذي يأتي بالفقير أو المحتاج لزرع أرض أو عمل في بستان ويعطيه بدل أتعابه صدقة ـ واجبة أو مستحبة ـ.

٦ ـ عدم قبول الصدقة المردودة:

قال الإمام الصادق عليه السلام: من تصدق بصدقة ثم ردت فلا يبعها ولا يأكلها، لأنّه لا شريك له في شي مما جعل له، إنما هي بمنزلة العتاقة لايصلح له ردها بعدما يعتق[2].

وعنه عليه السلام في الرجل يخرج بالصدقة ليعطيها السائل فيجده قد ذهب، قال: فليعطها غيره ولايردها في ماله[3].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) الحدائق الناضرة: ٢٢/ ٢٦٨.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت): ٩/ ٤٢٣ ح١٢٣٨٧.

وكأنّ الإنسان عندما ينوي أن يتصدق بمبلغ معين أو عين محددة فقد عزلها وأصبحت خارجة عن ملكه ومن حق الفقير، فإذا لم يتوفر نفس الفقير فليعطها فقيراً آخر.

ويمكن أن يكون هذا الأمر شرط من شرائط الصدقة لأنّ المبلغ أصبح مملوكاً لغيره، خاصة فيما إذا كانت الصدقة واجبة كالخمس والزكاة.

٧ ـ دفع الصدقة مباشرة وبلا واسطة:

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خصلتان لا أُحب أن يشاركني فيهما أحد وضوئي فإنه من صلاتي، وصدقتي من يدي إلى يد سائل، فإنّها تقع في يد الرحمن[1].

وهي من أهم الآداب لنيل بركة يد الرحمن وهي عبارة عن الرحمة والتسديد منه تعالى.

وتوسط شخص آخر بين المتصدق والتصدَّق عليه، لا يخل بالصدقة، بل للواسطة أجر المتصدق، خاصة في مثل هذه الأيام الّتي كبرت المجتمعات وأصبح من الصعب معرفة الفقير الحقيقي، ووجدت المؤسسات لتنظيم هذا الأمر.

٨ ـ عدم قطع شكوى الفقير:

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لا تقطعوا على السائل مسألته دعوه فليشكو بثّه وليخبر حاله**[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقطعوا على السائل مسألته فلولا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردّهم[3].

وهو من الآداب المهمة والتي تجعل الفقير في وضع حَرِج حيث يعمد بعض الناس الى الاستهتار بالفقير ومسألته، فينبغي للإنسان المؤمن أن لا يعجل عليه وليسمع كلامه حتى لو لم يرد أن يعطيه.

---

(١) تفسير العياشي: ٢/١٠٨.
(٢) مستدرك الوسائل: ٧/ ١٩٩ ح٨٠٢٦.
(٣) الكافي: ٤/ ١٥ ح١.



٩ ـ تعجيل الصدقة:

قال الإمام الصّادق ﷺ: رأيت المعروف لا يصلح إلّا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمّمته، وإذا عجلته هنّأته، وإن كان غير ذلك محقته ونكدته[١].

آثار الصدقة

وهناك آثار كثيرة للصدقة مقسمة الى ثلاثة أقسام:

١ ـ آثار دنيوية.

٢ ـ آثار برزخية.

٣ ـ آثار أُخروية.

وقد فصلناها في كتابنا «معاجز الصدقة وآثارها»[٢] وبلغت ٥٧ أثراً، نوردهم هنا بلا تفصيل:

الآثار الدنيوية

١ ـ رفع الموت

٢ ـ دفع القضاء

٣ ـ دفع البلاء

٤ ـ الصدقة تكسر ظهر الشيطان

٥ ـ دفع الشيطان

٦ ـ طول العمر

٧ ـ ذهاب الخطيئة

٨ ـ شفاء المرضى

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٧ ح١٦٩١.
(٢) طبع دار الهادي/ بيروت.

٩ ـ دفع ميتة السوء

١٠ ـ دفع الهدم والسبع

١١ ـ النجاة

١٢ ـ دفع النحس

١٣ ـ زيادة المال

١٤ ـ تعويض مال الصدقة وزيادته

١٥ ـ تحصين الأموال

١٦ ـ دفع الشر

١٧ ـ استجابة الدعاء

١٨ ـ قضاء الدين

١٩ ـ جلب البركة

٢٠ ـ حسن عِيشة ولد المُتصدق

٢١ ـ موفقيّة السفر

٢٢ ـ نفي الفقر

٢٣ ـ إطفاء غضب الرب

٢٤ ـ استنزال الرزق

٢٥ ـ حفظ الله للأغنياء المتصدقين

٢٦ ـ كان كمن أعتق رقبة وأحيى الناس

٢٧ ـ قبول هدية الله

٢٨ ـ القرب من الله

٢٩ ـ أحبهم الى الله

٣٠ ـ خدمة الله تعالى للمتصدق



٣١ ـ تحصين الإيمان

٣٢ ـ تيسير أموره وتسديده

٣٣ ـ إبقاء النِّعم والحفاظ عليها

٣٤ ـ دفع أبواب السوء

٣٥ ـ حماية الأعراض

٣٦ ـ بلوغ رضوان الله تعالى

الآثار البرزخية

١ ـ رفع عذاب القبر

٢ ـ إطفاء حر القبر

٣ ـ رحمة الموتى

٤ ـ حسرة أصحاب القبور على عدم الصدقة

الآثار الأخروية

١ ـ درجات الجنة ونعيمها

٢ ـ الوقاية، فالنجاة من النار

٣ ـ الصدقة زاد الآخرة

٤ ـ الوقاية من حر أرض القيامة

٥ ـ يظله الله في عرشه

٦ ـ غفران الذنب

٧ ـ تكفير السيئات

٨ ـ زيادة الحسنات

٩ ـ تعجيل الحساب والسؤال



١٠ ـ يسقى من الرحيق المختوم

١١ ـ تسهيل المرور على الطراط

١٢ ـ أوّل من يدخل الجنة

١٣ ـ المغفرة

١٤ ـ أوّل من يرد عليّ الحوض

١٥ ـ الشفاعة

١٦ ـ صلة النبي

١٧ ـ ثقل الميزان

ومن أراد تفصيل هذه الآثار مع أدلتها فليرجع الى كتاب «معاجز الصدقة وآثارها» فإنه فيه الجديد وهو كتاب نادر.

المنّ بعد الصدقة

أما معنى قوله ﷺ: «ثم لم تمتن بها على أحد لأنها لك، فإذا امتننت بها لم تأمن أن يكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه، لأن في ذلك دليلاً على أنك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد ولا قوة إلا بالله تعالى». .

فهو إشارة الى المنّ بعد دفع الصدقة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

والمن هو أن ينفق الإنسان أو يدفع صدقة أو يساهم في مشروع خيري ثم يقوم بعد ذلك بتغيير ذلك الشخص أو الجهة أو المؤسسة الراعية لذلك المشروع.

والتغيير قد يكون بكلمة أو موقف أو حتى حركة ويحضرني قصة لعلها غير واقعية وهي أقرب للطرفة: قيل إنّ رجلاً أراد الزواج فذهب إلى صديقه ليطلب منه اللباس لعدم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.

وجود اللباس المناسب عنده، فأعطاه بعض الأشياء وكان منها حذاءً جديداً وفي أثناء العرس أخذ صاحب الحذاء يقول للعريس: احترس على مشيتك فالحذاء جديد، لا تضع كلّ ثقلك على الحذاء.. وهكذا، فقام العريس وخلع الحذاء وأعاده إليه، فقام صديق ثان وأعطاه حذاءه وفي أثناء العرس قال له صاحب الحذاء الثاني: لا عليك ضع كلّ ثقلك، لا يهمك الحذاء فداك، ولا تخف، فالمهمّ أنّ تحافظ على رجلك ولا أهمية للحذاء، فقام العريس وخلع الحذاء أيضاً!!

قال النبي الأعظم ﷺ: من اصطنع إلى أخيه معروفاً فامتنّ به أحبط الله عمله وثبت وزره، ولم يشكر له سعيه، ثم قال ﷺ: يقول الله عزّ وجلّ: حرّمت الجنة على المنان والبخيل والقتات وهو النمام(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته، ثم ضرب مثلاً فقال: ﴿كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢)(٣).

قال: من كثر امتنانه وأذاه لمن تصدق عليه، بطلت صدقته، كما يبطل التراب الذي يكون على الصفوان، والصفوان الصخرة الكبيرة التي تكون في المفازة فيجي المطر فيغسل التراب منها، ويذهب به، فضرب الله هذا المثل لمن اصطنع معروفاً ثم أتبعه بالمن والأذى(٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: فمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ثم امتن على من تصدق عليه كان كمن قال الله عنه: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾.

(١) أمالي الصدوق: ٢٥٩، ومن لا يحضره الفقيه: ٤/ ٢ ـ ١١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.
(٣) بحار الأنوار: ٩٣/ ١٤٢ ح٨.
(٤) بحار الأنوار: ٩٣/ ١٤٢ ح٨.



قال عليه السلام: الإعصار الرياح فمن امتن على من تصدق عليه كانت كمن كان له جنة كثيرة الثمار، وهو شيخ ضعيف، له أولاد ضعفاء فيجيء ريح ونار فتحرق ماله كله[١].

أثر المنّ

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تحرم الجنة على ثلاثة: على المنان وعلى المغتاب وعلى مدمن الخمر[٢].

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: تَركُ المَنِّ زينَةُ المَعروفِ[٣].

وعنه عليه السلام ـ مِن كتابِهِ للأشتَرِ ـ: إيّاكَ والمَنَّ على رَعِيَّتِكَ بِإحسانِكَ، أو التَّزَيُّدَ فيما كانَ مِن فِعلِكَ، أو أن تَعِدَهُم فَتُتبِعَ مَوعِدَكَ بِخُلفِكَ؛ فإنَّ المَنَّ يُبطِلُ الإحسانَ، والتزيُّدَ يَذهَبُ بِنُورِ الحَقِّ[٤].

وعنه عليه السلام: الجُودُ مِن كَرَمِ الطَّبيعَةِ، والمَنُّ مَفسَدَةٌ لِلصَّنيعَةِ.

وقال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: المَنُّ يَهدِمُ الصَّنيعَةَ[٥].

وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ عَزَّ وجلَّ: المَنّانُ الذي لا يُعطِي شيئاً إلّا بِمِنَّةٍ، والمُسَبِّلُ إزارَهُ، والمُنفِقُ سِلعَتَهُ بِالحَلفِ الفاجِرِ[٦].

وقال بعض المفسرين: (إنّك إذا تصدّقت على شخص وتعلم أنّك إذا سلّمت عليه سيصعب عليه ذلك فيتذكر صدقتك عليه فلا تسلّم عليه)[٧].

النهي عن المنّ

قال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: إن كانَت لَكَ يَدٌ عندَ إنسان فلا تُفسِدْها بِكَثرَةِ المِنَنِ

(١) تفسير القمي: ٨١ ـ ٨٢.
(٢) بحار الأنوار: ٩٣/ ١٥٧ ح٣٢.
(٣) بحار الأنوار: ٧٨/ ٨٠/ ٦٥.
(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.
(٥) الكافي: ٤/ ٢٢/ ٢.
(٦) بحار الأنوار: ٧٧/ ٤٢١/ ٤٠.
(٧) تفسير أبي الفتوح الرازي: ٢/ ٣٦٤.



والذِّكرِ لها، ولكنْ أتبِعْها بأفضَلَ مِنها؛ فإنَّ ذلكَ أجمَلُ بكَ في أخلاقِكَ، وأوجَبُ لِلثَّوابِ في آخِرَتِكَ(١).

وعن غياث بن إبراهيم، عن الصادق، عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال وكرهتهن للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي: العبث في الصلاة، والرفث في الصوم، والمن بعد الصدقة، وإتيان المساجد جنباً، والتطلع في الدور، والضحك بين القبور(٢).

صَدَقَة السّرّ وفَضلُها

أما معنى قوله ﷺ: «وكنت بما تستودعه سراً أوثق منك بما تستودعه علانية» فهو يشير الى فضل صدقة السر:

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾(٣).

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: صَدَقةُ السِّرِّ تُطفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ(٤).

وقال ﷺ: أكثِرْ مِن صَدَقةِ السِّرِّ؛ فإنّها تُطفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ جَلَّ جَلالُهُ(٥).

وقال ﷺ: سَبعَةٌ في ظِلِّ عَرشِ اللهِ عَزَّ وجلَّ يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ: رجُلٌ تَصَدَّقَ بِيَمينِهِ فَأخفاهُ عن شِمالِهِ(٦).

وقال الإمامُ الصّادقُ ﷺ: لا تَتَصَدَّقْ على أعيُنِ الناسِ لِيُزَكُّوكَ؛ فإنّكَ إن فَعَلتَ ذلكَ فَقَدِ استَوفَيتَ أجرَكَ، ولكنْ إذا أعطَيتَ بِيَمينِكَ فلا تُطلِعْ علَيها شِمالَكَ؛ فإنَّ الذي تَتَصَدَّقُ لَهُ سِرّاً يَجزِيكَ عَلانِيَةً(٧).

---

(١) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٨٣/ ١.
(٢) أمالي الصدوق: ٣٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.
(٤) مكارم الأخلاق: ١/ ٢٩٦/ ٩٢٥.
(٥) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٨٤/ ١.
(٦) بحار الأنوار: ٩٦/ ١٧٧/ ٥.
(٧) مستدرك سفينة بحار الأنوار: ٢٤١، ـ باب فضل صدقة الماء ـ.



وقال الإمامُ عليٌّ عليه السلام: الصَّدَقةُ في السِّرِّ مِن أفضَلِ البِرِّ[١].

وقال عليه السلام: أفضَلُ ما تَوَسَّلَ بِهِ المُتَوَسِّلُونَ الإيمانُ باللهِ... وصَدَقةُ السِّرِّ؛ فإنّها تُذهِبُ الخَطِيئةَ وتُطفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ[٢].

وقال الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام: وحَقُّ الصَّدَقةِ أن تَعلَمَ أنّها ذُخرُكَ عندَ رَبِّك عَزَّ وجلَّ، ووَدِيعَتُكَ التي لا تَحتاجُ إلى الإشهادِ علَيها، وكنتَ بما تَستَودِعُهُ سِرّاً أوثَقَ مِنكَ بما تَستَودِعُهُ عَلانِيَةً، وتَعلَمَ أنّها تَدفَعُ البَلايا والأسقامَ عنكَ في الدنيا، وتَدفَعُ عنكَ النارَ في الآخِرَةِ[٣].

وقال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: الصَّدَقةُ واللهِ في السِّرِّ أفضَلُ مِنَ الصَّدَقةِ في العَلانِيَةِ، وكذلكَ واللهِ العِبادَةُ في السِّرِّ أفضَلُ مِنها في العَلانِيَةِ[٤].

عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة من كنوز البر: كتمان الحاجة، وكتمان الصدقة، وكتمان المرض، وكتمان المصيبة[٥].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: **الزكاة المفروضة تخرج علانية وتدفع علانية، وغير الزكاة إن دفعه سرّاً فهو أفضل**[٦].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سبعة في ظل عرش الله عزّ وجلّ يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادل، وشابٌ نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ، ورجلٌ تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله، ورجلٌ ذكر الله عزّ وجلّ خالياً ففاضت عيناه من خشية الله، ورجلٌ لقي أخاه المؤمن فقال: إني لأحبك في الله عزّ وجلّ ورجل خرج من المسجد وفي نيته أن يرجع إليه، ورجلٌ دعته امرأة ذات جمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين[٧].

---

(١) غرر الحكم: ١٥١٨.
(٢) أمالي الطوسي: ٢١٦/ ٣٨٠.
(٣) بحار الأنوار: ٧٤/ ٤/ ١.
(٤) الكافي: ٤/ ٨/ ٢.
(٥) مجالس المفيد: ١٢.
(٦) تفسير مجمع البيان: ١/ ٣٨٤ نقلاً عن علي بن إبراهيم: ١/ ٩٣.
(٧) بحار الأنوار: ٦٦/ ٣٧٧ ح٣٠.



وعن ابن محبوب، عن البطائني، عن أبي بصير، عن الإمام الباقر ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: أفضل ما توسل به المتوسلون الإيمان بالله ـ إلى أن قال: وصدقة السر فإنها تذهب الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنائع المعروف فإنها تدفع ميتة السوء، وتقي مصارع الهوان[1].

هذه باقة من أحاديث النبي وأهل بيته ﷺ تحث على صدقة السر كعمل عبادي هدفه التقرب إلى الله تعالى، لا مشاهدة الناس ولا مدحهم له ولا شي من الأمور الّتي تجعله مميزاً عن بقية الناس، وبذلك يكون عمله العبادي خالصاً لله تعالى، وبذلك يزاد أجره وثوابه عند الله وتكثر بركته في الحياة الدنيا وتعم آثاره.

١٤ ـ حق الهَدْي

قال ﷺ: وحق الهدي أن تريد به الله عزّ وجلّ ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

وفي نسخة: **(وأما حق الهدي فأن تخلص بها الإرادة إلى ربك، والتعرض لرحمته وقبوله ولا ترد عيون الناظرين دونه، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلفاً ولا متصنعاً وكنت إنما تقصد إلى الله تعالى)**[2].

الهدي أحد واجبات حج بيت الله الحرام فيقوم حجاج بيت الله تعالى في اليوم العاشر من ذي الحجة ـ يوم العيد ـ بذبح شاة عن كل حاج بعد رمي الجمرة الكبرى (الشيطان).

ولهذه الشاة شروط مذكورة في كتب الفقه ومناسك الحج.

ومن ضمن الشروط ما ذكره الإمام زين العابدين ﷺ وهو أن يريد الحاج بذبيحته وهديه وجه الله تعالى ونيل رحمته وذلك بنيّة القربى لله تعالى قبل الذبح.

ولا يجوز تقديم الهدي والاتيان به من أجل الناس فإذا دخل الرياء في نية الذابح للهدي بطل العمل.

---

(١) أمالي الطوسي: ١/ ٢٢٠.
(٢) من نسخة أخرى.



وليعلم أن الهدي عبارة عن عتق روح الإنسان وبدنه يتقرب به الحاج إلى الله تعالى.

ثم أخذ عليه السلام بذكر عامة الأفعال فقال عليه السلام:

❁ عامة الأفعال

(واعلم أن الله يراد باليسير ولا يراد بالعسير كما أراد بخلقه التيسير ولم يرد بهم التعسير، وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن[1] لأن الكلفة والمؤنة في المتدهقنين فأما التذلل والتمسكن فلا كلفه فيهما، ولا مؤنة عليهما، لأنهما الخلقة وهما موجودان في الطبيعة، ولا قوة إلا بالله تعالى)[2].

انتقل إمامنا علي بن الحسين عليه السلام من الأفعال الخاصة إلى الأعمال العامة والتي لها ربط بالمجتمع ككل، وبدأ بالتكاليف الإلهية وأنها ميسرة للإنسان حتى لو كانت قليلة فهو سبحانه من يقبل العمل اليسير ويعفو عن الكثير.

❁ التّكليف مقدور للإنسان

قال الإمامُ عليٌّ عليه السلام: اِعلَمُوا أنّ ما كُلِّفتُم بهِ يَسيرٌ، وأنّ ثَوابَهُ كثيرٌ، ولو لم يَكُن فيما نَهَى اللهُ عَنهُ مِن البَغيِ والعُدوانِ عِقابٌ يُخافُ لَكانَ في ثَوابِ اجتِنابِهِ ما لا عُذرَ في تَركِ طَلَبِهِ.

وعنه عليه السلام: إنّ اللهَ سبحانَهُ أمَرَ عِبادَهُ تَخييراً، ونَهاهُم تَحذيراً، وكَلَّفَ يَسيراً، ولم يُكَلِّفْ عَسيراً، وأعطى علَى القَليلِ كثيراً، ولم يُعصَ مَغلوباً، ولم يُطَعْ مُكرَهاً، ولم يُرسِلِ الأنبياءَ لَعِباً، ولم يُنزِلِ الكتابَ لِلعِبادِ عَبَثاً، ولا خَلَقَ السماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما باطِلا: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3].

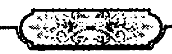
وعنه عليه السلام: اعلَمُوا أنّهُ لن يَرضى عَنكُم بشيءٍ سَخِطَهُ على مَن كانَ قَبلَكُم، ولن

---

(١) التدهقن: التكيس والدهقان: القوي على التصرف مع حدة (لسان العرب: ١٣/ ١٦٤).

(٢) من نسخة أخرى.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.



يَسخَطَ علَيكُم بشيءٍ رَضِيَهُ ممَّن كانَ قَبلَكُم، وإنّما تَسيرُونَ في أثرٍ بيِّن، وتَتَكلَّمونَ بِرَجعِ قَولٍ قد قالَهُ الرِّجالُ مِن قَبلِكُم[1].

❁ التكليف فطري يستدعيه الكون العام

قال العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله عليه: قد تقدّم في خلال أبحاث النبوّة وكيفيّة انتشاء الشرائع السماوية في هذا الكتاب أنّ كلّ نوع من أنواع الموجودات له غايةٌ كماليّةٌ هو متوجّه إليها ساعٍ نحوها طالبٌ لها بحركة وجودية تناسب وجوده، لا يسكن عنها دون أن ينالها، إلّا أن يمنعه عن ذلك مانعٌ مزاحِمٌ فيبطل دون الوصول إلى غايته، كالشجرة تقف عن الرشد والنموّ قبل أن تبلغ غايتها لآفات تعرضها. وتقدّم أيضاً أنّ الحرمان من بلوغ الغايات إنّما هو في أفراد خاصّة من الأنواع، وأمّا النوع بنوعيّته فلا يتصوّر فيه ذلك.

وأنّ الإنسان ـ وهو نوع وجوديّ ـ له غايةٌ وجوديّة لا ينالها إلّا بالاجتماع المدنيّ، كما يشهد به تجهيز وجوده بما لا يستغني به عن سائر أمثاله كالذكورة والأنوثة والعواطف والإحساسات وكثرة الحوائج وتراكمها.

وأنّ تحقّق هذا الاجتماع وانعقاد المجتمع الإنسانيّ يُحوِج أفراد المجتمع إلى أحكام وقوانين ينتظم باحترامها والعمل بها شتات أُمورهم ويرتفع بها اختلافاتهم الضروريّة، ويقف بها كلّ منهم في موقفه الذي ينبغي له ويحوز بها سعادته وكماله الوجوديّ، وهذه الأحكام والقوانين العمليّة في الحقيقة منبعثة عن الحوائج التي تهتف بها خصوصية وجود الإنسان وخلقته الخاصّة بما لها من التجهيزات البدنيّة والروحيّة، كما أنّ خصوصيّة وجوده وخلقته مرتبطةٌ بخصوصيّات العلل والأسباب التي تكوّن وجود الإنسان من الكون العامّ.

وهذا معنى كون الدِّين فطريّاً، أي أ نّه مجموع أحكام وقوانين يرشد إليها وجود الإنسان بحسب التكوين. وإن شئت فقل: سنن يستدعيها الكون العامّ، فلو أُقيمت أصلحت المجتمع وبلغت بالأفراد غايتها في الوجود وكمالها المطلوب، ولو تُركت وأُبطلت أفسدت العالم الإنسانيّ وزاحمت الكون العامّ في نظامه.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥١، والحكمة ٧٨، والخطبة ١٨٣.



وأنّ هذه الأحكام والقوانين سواءٌ كانت معامليّة اجتماعيّة تصلح بها حال المجتمع ويجمع بها شمله، أو عباديّة تبلغ بالإنسان غاية كماله من المعرفة والصلاح في مجتمع صالح، فإنّها جميعاً يجب أن يتلقّاها الإنسان من طريق نبوّة إلهيّة ووحي سماويّ لا غير.

وبهذه الأصول الماضية يتبيّن أنّ التكليف الإلهيّ يلازم الإنسان ما عاش في هذه النشأة الدنيويّة سواءٌ كان في نفسه ناقصاً لم يكمل وجوداً بعد أو كاملا علماً وعملا. أمّا لو كان ناقصاً فظاهر، وأمّا لو كان كاملا فلأنّ معنى كماله أن يحصل له في جانبَي العلم والعمل ملَكاتٌ فاضلة يصدُر عنها من الأعمال المعامليّة ما يلائم المجتمع ويصلحه ويتمكّن من كمال المعرفة وصدور الأعمال العباديّة الملائمة للمعرفة كما تقتضيه العناية الإلهيّة الهادية للإنسان إلى سعادته.

ومن المعلوم أنّ تجويز ارتفاع التكليف عن الإنسان الكامل ملازمٌ لتجويز تخلّفه عن الأحكام والقوانين. وهو فيما يرجع إلَى المعاملات يوجب فساد المجتمع والعناية الإلهيّة تأباه. وفيما يرجع إلى العبادات يوجب تخلّف الملَكات عن آثارها، فإنّ الأفعال مقدّماتٌ مُعدّة لحصول الملَكات ما لم تحصل، وإذا حصلت عادت تلك الأفعال آثاراً لها تصدر عنها صدوراً لا تخلّف فيه.

ومن هنا يظهر فساد ما ربّما يُتوهّم أنّ الغرض من التكليف تكميل الإنسان وإيصاله غاية وجوده، فإذا كمل لم يكن لبقاء التكليف معنى.

وجه الفساد: أنّ تخلّف الإنسان عن التكليف الإلهيّ، وإن كان كاملا في المعاملات يفسد المجتمع وفيه إبطال العناية الإلهيّة بالنوع، وفي العبادات يستلزم تخلّف الملَكات عن آثارها، وهو غير جائز، ولو جاز لكان فيه إبطال الملَكة وفيه أيضاً إبطال العناية. نعم، بين الإنسان الكامل وغيره فرقٌ في صدور الأفعال، وهو أنّ الكامل مَصون عن المخالفة لمكان الملَكة الراسخة بخلاف غير الكامل، والله المستعان[1].

❁ لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلّا وُسعَها

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2].

---

(١) تفسير الميزان: ١٢/ ١٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.



قال رسولُ اللهِ ﷺ: رُفِعَ عن أُمَّتي الخَطَأُ والنِّسيانُ وما استُكرِهُوا علَيهِ.

وعنه ﷺ: رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثة: عن المجنونِ المَغلوبِ على عَقلِهِ حتّى يَبرَأَ، وعنِ النائمِ حتّى يَستَيقظَ، وعنِ الصَّبيِّ حتّى يَحتَلِمَ.

وعنه ﷺ: لا يُعَذِّبُ اللهُ عَبداً على خَطأٍ ولا استِكراه أبَداً[١].

وعنه ﷺ: رُفِعَ عن أُمّتي تِسعَةٌ: الخَطَأُ، والنِّسيانُ، وما أُكرِهُوا علَيهِ، وما لا يَعلَمونَ، وما لا يُطيقونَ، وما اضطُرُّوا إلَيهِ، والحَسَدُ، والطِّيَرَةُ، والتَّفكُّرُ في الوَسوَسَةِ في الخَلقِ ما لم يَنطِقْ بِشَفَةٍ[٢].

وقال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: ما أُمِرَ العِبادُ إلّا بِدُونِ سَعَتِهِم، فُكلُّ شيء أُمِرَ النّاسُ بأخذِهِ فهُم مُتَّسِعونَ لَهُ، وما لا يَتَّسِعونَ لَهُ فهُو مَوضوعٌ عَنهُم[٣].

وعنه عليه السلام: ما كَلَّفَ اللهُ العِبادَ فوقَ ما يُطيقُونَ ـ فَذَكَرَ الفَرائضَ وقالَ: ـ إنّما كَلَّفَهُم صيامَ شهرٍ مِن السَّنَةِ وهُم يُطيقُونَ أكثَرَ مِن ذلكَ[٤].

❁ بين التذلل والتكلّف

ثم ذكر عليه السلام بعد مسألة التكليف ومقدوريته وفطرته، شرطاً لأداء هذه التكاليف وهو الإتيان بها بحالة التذلل والتمسكن لا التكلف.

❁ إقبال القلوب وإدبارها

قال رسول الله ﷺ: خُذوا مِنَ العِبادَةِ ما تُطيقونَ؛ فإنَّ اللهَ لا يَسأمُ حتّى تَساموا[٥].

الإمام الصادق عليه السلام: لا تُكَرِّهوا إلى أنفُسِكُمُ العِبادَةَ[٦].

---

(١) كنز العمّال: ١٠٣٠٧، ١٠٣٠٩، ١٠٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ٥/٣٠٣/١٤.

(٣) التوحيد: ٣٤٧/٦.

(٤) التهذيب: ٤/١٥٤/٤٢٦.

(٥) كنز العمّال: ٥٣٠١.

(٦) الكافي: ٢/٨٦/٢.



وقال ﷺ: إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمي[١].

وقال ﷺ: إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها[٢].

طبيعة الإنسان ومزاجه تختلف فقد يكون مزاجه في يوم هادئ وقد يتعكر في يوم آخر، وعند تعكر المزاج نتيجة عوامل داخلية كالمرض أو خارجية كالزعل والغم والتعب فإن همته تثقل ويصبح لا يعرف ما يحب وما يكره، وحتى إذا أحب شيئاً لا يستلز به، ومن هنا اهتم الإسلام بتنظيم العلاج المناسب لكل مشكلة، وأرشده الى ما فيه صلاحه ومن ذلك أن حذّر من أداء العبادة (الواجبة أم المستحبة) وهو في حالة إدبار القلب وضجره، كالذي يكون مريضاً أو نَعِسَاً ويذهب لدعاء كميل أو دعاء الجوشن الكبير، فإنه يصبح يفكر بالنوم أو الدواء أو ينظر كثيراً الى الوقت أو يقلّب بصفحات الدعاء ليرى متى تنتهي، ويغفل عن المقصود الحقيقي والرباني للدعاء ألا وهو الخشوع والتوجه، ومن هنا فعندما يكون الإنسان في هذه الحالة فعليه أن يترك العبادة الصعبة أو التي لا تناسب حاله التي هو فيها أو عليه تأجيلها.

وفي المقابل حثّ الإسلام من خلال رويات أهل البيت ﷺ على إستغلال إقبال القلوب وراحة البال وصحة المزاج، للتوجه الى أداء العبادات والإكثار منها ما دام قلبه ولبّه يطلب ذلك، وعندما يستطيع أن يدرك معنى العبادة وأهميتها فيُقبل عليها بكل جوارحه ثم يخشع قلبه لها، لأنه إذا خشعت الجوارح خشعت القلوب.

وقد لا ينطبق هذا الكلام على كل إنسان فالأمزجة مختلفة والظروف متفاوتة وكل إنسان أدرى بحاله ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾[٣].

۞ المداومة على العبادة وإن قلّت

قال الإمام الصادق ﷺ: داوم على تخليص المفترضات والسنن فإنهما الأصل فمن أصابهما وأداهما بحقهما فقد أصاب الكل، فإن خير العبادات أقربها بالأمن،

---

(١) نهج البلاغة: ٢/١٨٨.
(٢) نهج البلاغة: ٢/٢١٣.
(٣) سورة القيامة، الآية: ١٤.

وأخلصها من الآفات وأدومها وإن قلّ، فإن سلم لك فرضك وسنتك فأنت أنت، واحذر أن تطأ بساط مليكك إلّا بالذلة والافتقار، والخشية والتعظيم، وأخلص حركاتك من الرياء وسرك من القساوة، فإن النبي ﷺ قال: المصلي يناجي ربه فاستحي أن يطلع على سرك العَالِم بنجواك ومايخفي ضميرك وكن بحيث رآك لما أراد منك، ودعاك إليه.

وكان السلف لا يزالون من وقت الفرض إلى وقت الفرض في إصلاح الفرضين جميعاً، وفي هذا الزمان للفضائل على الفرايض، كيف يكون بَدن بلا روح.

قال علي بن الحسين عليه السلام: عجبت لطالب فضيلة تارك فريضة، وليس ذلك إلّا لحرمان معرفة الأمر، وتعظيمه، وترك رؤية مشيته بما أهلهم لأمره واختارهم له[1].

وقال عليه السلام: قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه[2].

عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذاكان الرجل على عمل فليدم عليه سنة ثم يتحول عنه إن شاء إلى غيره، وذلك أن ليلة القدر يكون فيها في عامه ذلك ما شاء الله أن يكون[3].

قال المجلسي: «ثم يتحول عنه إن شاء إلى غيره من الطاعات لا أن يتركه بغير عوض «يكون» خبر أن و«فيها» خبر «يكون» والضمير راجع إلى الليلة.

وقوله «ما شاء الله أن يكون» اسم «يكون» وقوله «في عامه» متعلق بيكون أو حال عن الليلة والحاصل: أنه إذا داوم سنة يصادف ليلة القدر التي فيها ماشاء الله كونه من البركات والخيرات والمضاعفات، فيصير له هذا العمل مضاعفاً مقبولاً، ويحتمل أن يكون الكون بمعنى التقدير أو يقدر مضاف في ما شاء الله، فالمعنى: لما كان تقدير الأمور في ليلة القدر فإذا صادفها يصير سبباً لتقدير الأمور العظيمة له، وكون العمل في اليوم لا ينافي ذلك فإنه قد ورد أن يومها مثل الليلة في الفضل، وقيل: المستتر في تكون

---

(١) البحار: ٧١/ ٢١٦ ح١٧، باب ٦٦ (الاقتصاد في العبادة والمداومة عليها)، ومصباح الشريعة: ١٩.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٢١٣/ ٢٤٩، والبحار: ٧١/ ٢١٧ ح٢٢، باب ٦٦ (الاقتصاد في العبادة والمداومة عليها).

(٣) البحار: ٧١/ ٢١٩ ح٢٤، باب ٦٦ (الاقتصاد في العبادة والمداومة عليها)، والكافي: ٢/ ٨٢.



للیلة القدر، وضمير فيها للسنة، وفي عامة بتشديد الميم متعلق بتكون أو بقوله فيها، والمراد بالعامة المجموع، والمشار إليه بذلك مصدر فليدم فالمراد زمان الدوام، وماشاء الله بدل بعض للعامة.

والحاصل: أنه يكون فيه ليلة القدر سواء وقع أوله أو وسطه أو آخره، وما ذكرنا أظهر.

عن علي، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ ما داوم عليه العبد وإن قلّ[1].

قال المجلسي: يدل على أن العمل القليل الذي يداوم عليه، خير من عمل كثير يفارقه ويتركه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: قليل من عمل مدوم عليه خير من عمل كثير مملول منه أي يمل منه.

عن أبي علي الاشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار، عن نجبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من شي أحب إلى الله عزّ وجلّ من عمل يداوم عليه وإن قلّ[2].

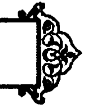
بالإسناد المتقدم، عن فضالة، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إني لأحب أن أداوم على العمل وإن قلّ[3].



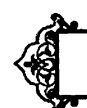
(١) البحار: ٧١/ ٢١٩ ح٢٥، باب ٦٦ (الاقتصاد في العبادة والمداومة عليها).

(٢) البحار: ٧١/ ٢٢٠ ح٢٦، باب ٦٦ (الاقتصاد في العبادة والمداومة عليها)، والكافي: ٢/ ٨٢.

(٣) المصدر السابق.



حقوق الأئمة



١٥ ـ حق السلطان

قال ﷺ: وحق السلطان[١] أن تعلم أنك جُعلت له فتنة وأنه مبتلى فيك بما جعل الله عزّ وجلّ له عليك من السلطان، وأن عليك أن لا تتعرض لسخطه، فتُلقي بيديك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء (وأن تخلص له في النصيحة وأن لا تماحكه[٢] وقد بسطت يده عليك، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه، وتذلل وتلطف لإعطائه من الرضى ما يكفه عنك ولا يضر بدينك، وتستعين عليه في ذلك بالله، ولا تعازه[٣] ولا تعانده فإنك إن فعلت ذلك عققته وعققت نفسك، فعرضتها لمكروهه، وعرضته للهلكة فيك، وكنت خليقاً أن تكون مُعيناً له على نفسك وشريكاً له فيما أتى إليك ولا قوة إلا بالله تعالى)[٤].

السلطان هو الخليفة وقد يكون مؤمناً وملتزماً بتعاليم الإسلام وقد يكون غير مؤمن ولكنه يحكم بالعدل وقد يكون مؤمناً ولا يحكم بالعدل دائماً.

وفي كل الحالات هناك حذر في كيفية تعامل الرعية مع السلطان لكي لا يؤدي إلى ظلمهم وحرمانهم من حقوقهم أو الضرر بدينهم. وغالباً ما تكون هذه الأمور ناتجة عن السلطان الظالم والجائر أو عن أعوانه.

أما السلطان العادل فهو ظل الله في الأرض ولا يأتي منه إلا العدل والخير والرقي.

---

(١) في نسخة: سائسك بالسلطان.

(٢) أي لا تخاصمه.

(٣) أي لا تعارضه في العزة.

(٤) من نسخة أخرى.



وفي كلام أمير المؤمنين ﷺ الكثير من المواعظ والحكم حول الرعية والولي نذكر نموذجاً منه وهو ما قاله ﷺ في عهده لمالك الأشتر: . . . ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء، وممن لا يثيره المنف، ولا يقعد به الضعف، ثم الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف.

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقّرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل، فإنه داعيه لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك، ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه، وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك.

وإن أفضل قره عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم ألا بحيطتهم على ولاه الأمور، وقلة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع، وتحرض الناكل، إن شاء الله، ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلي، ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرن به دون غايه بلائه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظّم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضِعَة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً، واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1]

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.



﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة...[2].

١٦ ـ حق المعلم

وقال ﷺ: وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، (والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم، بأن تفرغ له عقلك، وتحضره فهمك، وتذكي له قلبك، وتجلي له بصرك بترك اللذات ونقض الشهوات)، وأن لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شي حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً ولا تعادي له ولياً، (وأن تعلم أنك فيما ألقى رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه إليهم، ولا تخنه في تأدية رسالته، والقيام بها عنه إذا تقلدتها، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته، وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى)[3].

ثم ذكر ﷺ حقوق المعلمين على المتعلمين من أجل الوصول إلى علم الله تعالى وعبادته حق العبادة عن معرفة ويقين، إذ العلم ليس مقصوداً لذاته بل لشيء آخر هو ما ذكرنا.

وفي الروايات ما يوضح هذه الحقوق ويزيد عليها نذكر بعضها:

❁ حقوق العلماء

الكليني، عن علي بن محمّد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن سليمان بن جعفر الجعفري، عمّن ذكره عن أبي عبد الله ﷺ قال: كان أمير المؤمنين ﷺ يقول: إنّ من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم جميعاً، وخصه بالتحية دونهم واجلس بين يديه ولا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) انظر بحار الأنوار: ٢/ ٢٤٤.

(٣) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.



تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته فإنّما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله(١).

الصدوق باسناده إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، عن أبيه، عن جده عليه السلام، عن علي عليه السلام أنّه قال: إنّ من حقّ العالم أن لاتكثر السؤال عليه ولا تسبقه في الجواب ولا تلحّ عليه إذا أعرض، ولا تأخذه بثوبه إذا كسل ولا تشير إليه بيدك ولا تغمزه بعينك ولا تسارّه في مجلسه ولا تطلب عوراته، وأن لا تقول: قال فلان خلاف قوله، ولا تفشي له سراً ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تحفظ له شاهداً وغائباً وأن تعمّ القوم بالسلام وتخصّه بالتحية وتجلس بين يديه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته ولا تملُّ من طول صحبته فإنّما هو مثل النخلة فانتظر متى تسقط عليك منها منفعة، والعالم بمنزلة الصائم المجاهد في سبيل الله وإذا مات العالم إنثلم في الإسلام ثلمة لا تنسد إلى يوم القيامة، وإنّ طالب العلم ليشيّعه سبعون ألفاً من مقربي السماء(٢).

المفيد رفعه عن حارث الأعور قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من حق العالم أن لايكثر عليه السؤال ولا يعنت في الجواب ولا يلحّ عليه إذا كسل ولا يؤخذ بثوبه إذا نهض ولا يشار إليه بيد في حاجة ولا يفشي له سرّ ولا يغتاب عنده أحد ويعظم كما حفظ أمر الله، ويجلس المتعلّم أمامه ولا يعرض من طول صحبته وإذا جاءه طالب علم وغيره فوجده في جماعة عمّهم بالسلام وخصه بالتحية وليحفظ شاهداً وغائباً وليعرف له حقه، فإنّ العالم أعظم أجراً من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، فإذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لايسدها إلّا خلف منه، وطالب العلم تستغفر له الملائكة ويدعو له من في السماء والأرض(٣).

الآمدي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إذا رأيت عالماً فكُنْ له خادماً(٤).

الآمدي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: مَنْ وَقَّرَ عالماً فقد وَقَّرَ ربَّه(٥).

---

(١) الكافي: ١/ ٣٧ ح١.

(٢) الخصال: ٢/ ٥٠٤ ح١.

(٣) الإرشاد: ١/ ٢٣٠.

(٤) غرر الحكم: ح٤٠٤٤.

(٥) غرر الحكم: ح٧٠٦٣.



وقال الإمامُ الصّادقُ ﷺ: إذا كانَ يَومُ القِيامَةِ... قِيلَ للعابِدِ: انطَلِقْ إلى الجَنَّةِ، وقيلَ للعالِمِ: قِفْ تَشفَعْ لِلناسِ بِحُسنِ تَأديبِكَ لَهُم(١).

وعزيزي القارئ كما ترى فإن الروايات تحثّ على احترام العالم وتقديره وملازمته وخدمته والمثول أمام يديه بدقة وعقل مفتوح وقلب سليم لكي يستفيد منه المتعلم بكل كلمة يقولها تذكره بالله تعالى أو ترشده إلى طريق الهدى وتبعده عن الهوى.

❁ النظر إلى العالِم

محمّد بن محمّد الأشعث، عن موسى بن اسماعيل، عن أبيه، عن جده ﷺ عن آبائه ﷺعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: النظر إلى وجه العالم عبادة(٢).

الطوسي بإسناده عن الصادق ﷺ، عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: النظر إلى العالم عبادة، والنظر إلى الإمام المقسط عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر إلى أخ تودُّه في الله تعالى عبادة(٣).

الراوندي بإسناده إلى رسول الله ﷺ أنّه قال: النظر في وجه العالم حبّاً له عبادة(٤).

ومعنى توصيف الروايات الشريفة بأن النظر لوجه العالم عبادة هو تشجيع المتعلم للمثول أمام العلماء للنهل من علوم آل محمد ﷺوكونه عبادة يستلزم الثواب لمجرد النظر حتى لو لم يتعلم منه، نعم مع الاستفادة يتضاعف الثواب.

❁ أثر العلم على العمل

المفيد رفعه إلى أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: المتعبد على غير فقه كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح، وركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل، لأنّ العالم تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه وتأتي الجاهل فتنسفه نسفاً، وقليل العمل مع كثير العلم خير من كثير العمل مع قليل العلم والشك والشبهة(٥).

---

(١) علل الشرائع: ٣٩٤/١١. (٢) الجعفريات: ١٩٤.

(٣) أمالي الطوسي: المجلس السادس عشر ح٢١/ ٤٥٤ الرقم ١٠١٥.

(٤) النوادر: ١١.

(٥) الاختصاص: ٢٤٥، ونقل عنه في بحار الأنوار: ١/ ٦٥ من طبع الكمباني و٢٠٨/١ من طبع الحروفي.



❁ صفة العلم وفضله

الصدوق، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى، عن يونس ابن عبد الرحمن، عن الحسن بن زياد العطار، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نُباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وهو عند الله لأهله قربة لأنّه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبيل الجنة وهو أنيس في الوحشة وصاحب في الوحدة وسلاح على الأعداء وزين الأخلاء يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يُقتدى بهم، تُرمَق أعمالهم وتُقتَبَس آثارهم وتَرغَب الملائكة في خلّتهم يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأنّ العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف ينزل الله حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة، بالعلم يُطاع الله ويُعبَد، وبالعلم يُعرَف الله ويُوَحّد وبالعلم تُوصَل الأرحام وبه يُعرَف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل والعقل تابعه يُلهِمه الله السُعداء ويَحرِمه الأشقياء[١].

❁ أصناف الناس في العلم

الكليني، عن علي بن محمّد، عن سهل بن زياد، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي اسامة، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق السبيعي، عمّن حدثه ممن يوثق به قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ الناس آلوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)إلى ثلاثة: آلوا إلى عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، وجاهل مدّع للعلم لا علم له معجب بما عنده قد فتنته الدنيا وفتن غيره، ومتعلّم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة، ثمّ هلك من ادعى وخاب من افترى[٢].

وعلى المؤمنين اختيار ما اختاره الله لهم من مجالسة العلماء بالله الذين يذكرونهم بالله تعالى وآياته ويرشدونهم إلى ما فيه مصلحة دنياهم ودينهم.

فإن الإنسان عدو ما يجهل، ومعناه عداوة كل شيء لمن لا يتعلم فكيف سيعيش

---

(١) أمالي الصدوق: المجلس التسعون ح١/ ٧١٣ ح٩٨٢.

(٢) الكافي: ١/ ٣٣ ح١.



في هذه الحياة الواسعة من دون سلاح العلم يتقوى به على مصاعبها ويحل به مشاكلها.

وفقنا الله والمؤمنين الى سبيل الرشاد.

١٧ ـ حق المالك

قال ﷺ: فأما حق سائسك بالملك (فنحو من سائسك بالسلطان إلا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك)[١]، فأن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما يسخط الله عزّ وجلّ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، (تلزمك طاعته فيما دق وجلّ منك إلا أن تخرجك من وجوب حق الله، فإن حق الله يحول بينك وبين حقه وحقوق الخلق، فإذا قضيته رجعت إلى حقه فتشاغلت به ولا قوة إلا بالله تعالى)[٢].

المالك يطلق على السيد الذي يملك العبد فإن للمالك حق على عبده يجب أن يؤديها إليه وأهمها الطاعة والاحترام والتقدير، نعم الطاعة مشروط له بعدم تعارضها مع طاعة الله تعالى، كما لو أمره بترك الصوم في شهر رمضان فإن طاعته تسقط وتقدم طاعة الله تعالى.

وسوف يأتي بعد ذكر حقوق المالك حق المنعم بالولاء.

وكذلك المالك يطلق على رب العمل فإن العامل الذي يؤجر نفسه لمدة يوم أو شهر أو سنة عند صاحب العمل والمالك يجب عليه أن يؤدي العمل المستأجر فيه على أكمل وجه وكما هو متفق عليه بينهما ومع عدم الاتفاق يؤخذ بقول العرف، فهذه الأمور حقوق يجب على الإنسان أن يؤديها لمالكه.

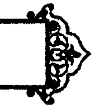


(١) من نسخة أخرى.
(٢) من نسخة أخرى.





حقوق الرعية



١٨ ـ حق الرعية

قال ﷺ: (فأما حقوق[١] رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنك إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم[٢]، فإنه إنما أحلّهم محل الرعية لك ضعفهم وذلّهم، فما أولى من كفاكَهُ ضعفه وذله ـ حتى صيّره لك رعية وصيّر حكمك عليه نافذاً، لا يمتنع منك بعزة ولا قوة ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلا بالله تعالى ـ بالرحمة والحياطة والأناة) فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة (وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزة والقوة التي قهرت بها أن تكون لله شاكراً) وتشكر الله عزّ وجلّ على ما آتاك من القوة عليهم (ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه، ولا قوة إلا بالله تعالى)[٣].

الرعية هي الأمة التي تولى عليه السلطان أو الخليفة أو الوالي، وكما ذكر ﷺ حقوق السلطان وما يجب على الرعية أداؤه تجاهه، قام بذكر حقوق الرعية وما يجب على الوالي والخليفة أداؤه تجاهها.

وأهم هذه الحقوق أو الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الوالي:

١ ـ **العدالة**: فيجب أن يعدل الوالي في حكمه للرعية فالعدل أساس الحكم.

---

(١) في النسخة الأولى: حق.

(٢) في النسخة الأولى: أنهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك.

(٣) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.



❁ قيمةُ العَدلِ

وقال الإمامُ عليٌّ ﷺ: العَدلُ أساسٌ بِهِ قِوامُ العالَمِ(١).

وعنه ﷺ: العَدلُ أقوى أساس.

وعنه ﷺ: إنَّ العَدلَ مِيزانُ اللهِ سُبحانَهُ الَّذي وَضَعَهُ في الخَلقِ، ونَصَبَهُ لإقامَةِ الحَقِّ، فلا تُخالِفْهُ في مِيزانِهِ، ولا تُعارِضْهُ في سُلطانِهِ.

وعنه ﷺ: جَعَلَ اللهُ سُبحانَهُ العَدلَ قِواماً

لِلأنامِ، وتَنزيهاً مِنَ المَظالِمِ والآثامِ، وتَسنِيَةً لِلإسلامِ.

وعنه ﷺ: العَدلُ قِوامُ الرَّعِيَّةِ وجَمالُ الوُلاةِ(٢).

وقال الإمامُ الصّادقُ ﷺ: العَدلُ أحلى مِنَ الماءِ يُصيبُهُ الظَّمآنُ.

وعنه ﷺ: العَدلُ أحلى مِنَ الشَّهدِ، وأليَنُ مِنَ الزُّبدِ، وأطيَبُ ريحاً مِنَ المِسكِ(٣).

وقال الإمامُ عليٌّ ﷺ: العَدلُ مَألوفٌ، والهَوى عَسوفٌ(٤).

وقالت فاطمةُ الزَّهراءُ ﷺ: فَرَضَ... العَدلَ تَسكيناً لِلقُلوبِ(٥).

٢ ـ أن يكون كالوالد للرعية: فيعاملهم كما يعامل أولاده بالرحمة والعطف ورعاية مصالحهم والتفكير بمستقبلهم من تعليمهم وتأمين مستقبلهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله: «يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة»(٦).

٣ ـ الغفران لهم عند الجهل: والمراد أن يفرق بين الجاهل والعالم المتعمد عند

(١) مطالب السؤول: ٦١.
(٢) غرر الحكم: ٨٦٣، ٣٤٦٤، ٤٧٨٩، ١٩٥٤.
(٣) الكافي: ٢/١٤٦/١١ وص١٤٧/١٥.
(٤) مطالب السؤول: ٥٦.
(٥) علل الشرائع: ٢٤٨/٢.
(٦) أمالي الصدوق: ٤١١ المجلس ٥٣.



مخالفة الرعية للقوانين والنظام والأحكام فيعفو عن الجاهل الضعيف ويرحمه.

٤ ـ **عدم تعجيل العقوبة**: والمراد بها إما تأجيلها رحمة لهم وإما إلغاؤها وإعطاء المذنب فرصة أخرى.

٥ ـ **الشكر لله**: أي أن يتوجه الوالي إلى الله بالحمد والشكر له على نعمة الولاية والعدل في الرعية لكي تدوم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: **يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة وأحببت دوامها والزيادة من الله عز وجل فأكثر حمد الله عليها فقد قال الله عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾**[1].

يا سفيان إذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله عز وجل يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[2].

يا سفيان إذا نزلت بك بلية أو شدة من الشيطان أو غيره وأحببت أن يكشفها الله عنك فقل: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم فإنها مفتاح الفرج وهي كنز من كنوز الجنة»[3].

❁ الحثُّ على الشكرِ لله تعالى

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[4].

وقال الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام: الحَمدُ للهِ الذي لَو حَبَسَ عن عِبادِهِ مَعرِفَةَ حَمدِهِ على ما أبلاهُم مِن مِنَنِهِ المُتَتابِعَةِ، وأسبَغَ علَيهِم مِن نِعَمِهِ المُتَظاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا في مِنَنِهِ فلَم يَحمَدُوهُ، وتَوَسَّعُوا في رِزقِهِ فلَم يَشكُرُوهُ، ولَو كانوا كذلكَ لَخَرَجُوا مِن حُدودِ الإنسانيَّةِ إلى حَدِّ البَهِيمِيَّةِ، فكانوا كما وَصَفَ في مُحكَمِ كِتابِهِ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[5].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧. (٢) سورة نوح، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٧٣، شعب الإيمان: ٤/ ١٠٨، ح٤٤٤٦، العقد الفريد: ٣/ ١٧٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٥) الصحيفة السجادية: ٢٠ الدعاء ١.



وقال الإمامُ عليٌّ عليه السلام: الشُّكرُ زِينَةُ الغِنى، والصَّبرُ زِينَةُ البَلوى(١).

وعنه عليه السلام: الشُّكرُ عِصمَةٌ مِن الفِتنَةِ(٢).

وعنه عليه السلام: شُكرُ النِّعمَةِ أمانٌ من حُلُولِ النِّقمَةِ(٣).

وقال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام ـ لَمّا سُئلَ عن أكرَمِ الخَلقِ عَلى اللهِ ـ: مَن إذا أُعطِيَ شَكَرَ، وإذا ابتُلِيَ صَبَرَ(٤).

وجوبُ شُكرِ المُنعِمِ

وقال الإمامُ عليٌّ عليه السلام: لَو لَم يَتَواعَدِ اللهُ عِبادَهُ على مَعصِيَتِهِ، لَكانَ الواجِبَ ألّا يُعصى شُكراً لِنِعَمِهِ(٥).

وعنه عليه السلام: لَو لَم يَتَوَعَّدِ اللهُ على مَعصِيَتِهِ، لَكانَ يَجِبُ ألّا يُعصى شُكراً لِنِعَمِهِ(٦).

وعنه عليه السلام: أقَلُّ ما يَجِبُ لِلمُنعِمِ أن لا يُعصى بِنِعمَتِهِ(٧).

وعنه عليه السلام: أقَلُّ ما يَلزَمُكُم للهِ ألّا تَستَعِينُوا بِنِعَمِهِ على مَعاصِيهِ(٨).

وعنه عليه السلام: أوَّلُ ما يَجِبُ علَيكُم للهِ سبحانَهُ، شُكرُ أيادِيهِ وابتِغاءُ مَراضِيهِ(٩).

وقال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: في كُلِّ نَفَس مِن أنفاسِكَ شُكرٌ لازِمٌ لكَ، بَل ألفٌ وأكثَرُ(١٠).

---

(١) الإرشاد: ١/ ٣٠٠. (٢) البحار: ٧٨/ ٥٣/ ٨٦.
(٣) غرر الحكم: ٥٦٦٦.
(٤) التمحيص: ٦٨/ ١٦٣.
(٥) البحار: ٧٨/ ٦٩/ ٢١. ومن هنا أخذ القائل ـ وقيل إنّها لأمير المؤمنين عليه السلام ـ:
هَبِ البَعثَ لم تأتِنا رسلُه وجاحمةَ النّارِ لم تُضرَمِ
أليسَ من الواجبِ المُستحقِّ حياءُ العِبادِ من المُنعِمِ؟!
(٦) نهج البلاغة: الحكمة ٢٩٠.
(٧) غرر الحكم: ٣٢٦٨.
(٨) نهج البلاغة: الحكمة ٣٣٠.
(٩) غرر الحكم: ٣٣٢٩.
(١٠) البحار: ٧١/ ٥٢/ ٧٧.



وعنه عليه السلام: ما مِن عَبد إلّا ولله علَيهِ حُجّةٌ، إمّا في ذَنب اقتَرَفَهُ، وإمّا في نِعمَة قَصَّرَ عن شُكرِها[١].

وقال الإمامُ عليٌّ عليه السلام: إنّ قَوماً عَبَدُوهُ [أي اللهَ] شُكراً، فتِلكَ عِبادَةُ الأحرارِ[٢].

تقسيم الرعية

قال أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمي الله له سهمه، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود، بإذن الله، حصون الرعية، وزين الولاة، وعزّ الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة[٣].

(١) أمالي الطوسيّ: ٢١١/٣٦٦.
(٢) البحار: ٧٨/٦٩/١٨.
(٣) انظر نهج البلاغة: ٣/ ٩١ العهد ٥٣.



١٩ ـ حق المتعلم

قال ﷺ: وأما حق رعيتك بالعلم فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ إنما جعلك[1] قيماً لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه[2] فإن أحسنت في تعليم الناس (فيما ولاك الله من ذلك)، ولم تخرق بهم، ولم تضجر عليهم، (وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبيده الصابر المحتسب، الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التي في يديه راشداً وكنت لذلك آملاً معتقداً، وإلا كنت له خائناً ولخلقه (ظالماً ولسلبه وغيره متعرضاً)[3]؛ زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك؛ كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك.

على الإنسان المتصدي للأمور العامة والقادر على تعليم الناس أن يضع برنامجاً دقيقاً لتعليم الناس أحكام دينهم ودنياهم مما يحتاجون إليه. وعليه أن يحسن تعليم رعيته ويصبر عليهم ولا يضجر منهم بل يشفق عليهم قربة لله تعالى وأجره على الله سبحانه فهو المقصد والمنجي ومنه الثواب، وقد حثّ الإسلام على التعليم وأعطى ثواباً كبيراً لهم ولمن يقوم بهذه المهمة وإليك باقة من روايات الأئمة الأطهار ﷺ عن ذلك:

❁ الغفران لطالب العلم

ابن عساكر قال: أَخْبَرَنا أبو محمد السّلمي، نا عبد العزيز التميمي، أنا تمام بن محمد، نا أبو الحارث أحمد بن محمد بن أبي الخطّاب اللّيثي، نا إسحاق بن إبراهيم يعرف بجَيش الفرغاني، نا عبد الرَّحْمن بن محمد بن سلام، نا إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله ـ أبو علي التيمي ـ نا مطر ابن خليفة، عن أبي الطُّفَيل عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما انتعل أحدٌ قطُّ ولا خَصَفَ ولا لبسَ ثوباً ليغدوَ في طلب علم يتعلّمه إلّا غفرَ الله له حيث يخطو عَتَبَة باب بيته»[4].

---

(١) في نسخة: قد جعلك.

(٢) في نسخة: وولاك من خزانة الحكمة.

(٣) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.

(٤) تاريخ دمشق: ٨/١٢٦، وكنز العمال: ١/ ٢٩٣٩٢.



۞ علماء آل محمد وثواب تعليمهم الشيعة

في تفسير الإمام العسكريّ ﷺ: قال عليّ بن أبي طالب ﷺ: من كان من شيعتنا، عالماً بشريعتنا، وأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع تلك العرصات، وحلة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها.

ثمّ ينادي مناد من عند اللّه: يا عباد الله، هذا عالم من تلامذة بعض آل محمد ﷺ ألا فمَن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله، فليتشبّث بنوره، ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى ذروة الجنان، فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً، أو فتح عن قلبه من الجهل، أو أوضح له عن شبهة.

قال ﷺ: وحضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء، فقالت لها: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليكِ أسألك فأجابتها فاطمة ﷺ عن ذلك فثنّت فأجابتها ثمّ ثلثت فأجابتها إلى أن عشّرت فأجابت ثمّ خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول اللّه.

قالت فاطمة ﷺ: هاتي، وسلي عما بدا لك أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراؤه مائة ألف دينار أيثقل عليه؟

فقلت: لا.

فقالت: إكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليّ. سمعت أبي ﷺ يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم، وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور.

ثمّ ينادي منادي ربنا عزّ وجلّ: أيها الكافلون لأيتام آل محمد، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم، الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم، والأيتام الذين كفلتموهم، ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتّى إن فيهم ـ يعني في الأيتام ـ لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم.



ثمّ إن الله تعالى يقول أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام، حتّى يتمّوا لهم خلعهم، ويضعفوها فيتمّم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم، وكذلك من مرتبتهم، ممن يخلع عليه على مرتبتهم.

وقالت فاطمة ﷺ يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل ممّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، وأفضل، فإنّه مشوب بالتنقّص والكدر[١].

ما أجمل هذا الحديث وبيانه، وكيف لا وقائله بنت خير البشر الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها صلوات الله تعالى.

انظر أيها العالم إلى ثواب تعليمك شيعة علي ﷺ وفاطمة ﷺوأيتامهما، أنظر إلى تكريم الله تعالى لك وخلعه عليك من حلل البهاء في الجنة.

جعلنا الله منهم بحرمة فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها صلوات الله عليهم أجمعين.

❁ النهي عن كتمان العلم

البرقي، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، ومحمّد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله ﷺ عن آبائه ﷺ قال: قال ﷺ: إنّ العالم الكاتم علمه يبعث أنتن أهل القيامة ريحاً تلعنه كل دابّة حتى دواب الأرض الصغار[٢].

الطوسي بإسناده إلى أخي دعبل عن الرضا ﷺ عن آبائه ﷺ عن أمير المؤمنين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لاخير في علم إلّا لمستمع واع وعالم ناطق[٣].

❁ بذل العلم

الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن

---

(١) مكيال المكارم: ٢/٢٦٦، وتفسير الإمام: ١١٤ الطبعة القديمة.

(٢) المحاسن: ٢٣١ ح١٧٧، ونقل عنه في بحار الأنوار: ١/٨٧ من طبع الكمباني و٢/٧٢ من طبع الحروفي.

(٣) أمالي الطوسي: المجلس الثالث عشر ح٤٢/٣٦٩ الرقم ٧٩١.



اسماعيل بن بزيع، عن منصور بن حازم، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قرأت في كتاب علي ﷺ: إنّ الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال لأنّ العلم كان قبل الجهل[١].

إنّ كتمان العلم من قبل العلماء أو المتعلمين وعدم بذله لمحتاجيه من الناس خيانة لنفس العلم الذي تعلمه الإنسان، إذ صحيح أن العلم نور وسلاح يحمي الإنسان ويعطيه قيمة اجتماعية، إلا أن الثواب عليه عند الله تعالى وعدم معاقبته للعالم مشروط ببذل العلم الذي يزكو ويكثر على الإنفاق.

إنّ عبادة كثير من الناس وعدم وقوعهم في المعاصي والمخاطر وأكل الحرام والقتل والسرقة وما شابه كله متوقف على بذل العالم لعلمه وتعليمه للناس أحكام دينهم ودنياهم لكي يتقربوا إلى الله تعالى، فكل من يَحرم الناس هذه النعمة يمنعهم من التقرب إلى الله تعالى ويقربهم إلى الشيطان، وهل يحب أحد أن يقل المقربون لله ويكثر أتباع الشيطان؟

٢٠ ـ حق الزوجة

قال ﷺ: وأما حق الزوجة[٢] فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكنا (ومستراحاً) وأنساً (وواقية) فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها (وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وإن كان حقك عليها أغلظ وطاعتك لها ألزم[٣] فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فإن لها حق الرحمة والمؤانسة)[٤]، لأنها أسيرك وتطعمها وتكسوها وإذا جهلت عفوت عنها (وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بد من قضائها وذلك عظيم، ولا قوة إلا بالله تعالى)[٥].

---

(١) الكافي: ١/ ٤١ ح١.
(٢) في نسخة: رعيتك بملك النكاح.
(٣) في النسخة الأولى: أوجب.
(٤) من نسخة أخرى.
(٥) من نسخة أخرى.



اهتم الإسلام كثيراً بالحياة الزوجية واعتبر الزواج إكمالاً لنصف الدين(١)، لما فيه من أثر على الحياة البشرية وصنع الأمم ورقيها قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

وقد توّج الله هذا الزواج المثالي بأن رسم له القانون الذي يجب أن يتحاكم إليه الزوجان، جعل عزّت آلاؤه المودّة والرحمة دستوراً إلهياً يمشي عليه الزوجان ويطبّقونه في كلّ مفاصل حياتهما، بعيداً عن الغضب الشيطاني والعصبية والتنافر والتناحر.

وسوف نتعرض لأهم الحقوق الزوجية باختصار:

❋ بعض حقوق الزوجة

عن شهاب بن عبد ربه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حقّ المرأة على زوجها؟

قال: يسدّ جوعتها ويستر عورتها ولا يقبح لها وجهاً فإذا فعل ذلك فقد والله أدّى حقّها.

قلت: فالدهن؟

قال: غبا يوم ويوم لا.

قلت: فاللحم؟

قال: في كلّ ثلاثة فيكون في الشهر عشر مرّات لا أكثر من ذلك.

قلت: فالصبغ؟

قال: والصبغ في كلّ ستّة أشهر ويكسوها في كلّ سنة أربعة أثواب ثوبين للشتاء وثوبين للصيف، ولا ينبغي أن يفقر بيته من ثلاثة أشياء: دهن الرأس والخلّ والزيت ويقوتهن بالمد، فإنّي أقوت به نفسي وعيالي، وليقدر لكلّ إنسان منهم قوته فإن شاء أكله وإن شاء وهبه وإن شاء تصدّق به، ولا تكون فاكهة عامّة إلّا أطعم عياله منها، ولا يدع

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تزوج فقد أحرز نصف دينه، انظر الجواهر: ٢٩/ ١٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.



أن يكون للعبد عندهم فضل في الطعام أن يسني من ذلك شيئاً لا يسني لهم في سائر الأيّام[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما زال جبرئيل يوصيني بالمرأة حتّى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: وأمّا حقّ الزوجة فأن تعلم أنّ الله عزّوجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب فإنّ لها عليك أن ترحمها.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلّفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيرة بتحصّن.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: قول الرجل للمرأة إنّي أحبّك لا يذهب من قلبها أبداً.

وعن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟

قال: يشبعها ويكسوها، وإن جهلت غفر لها.

وعن الحسن بن جهم قال: رأيت أبا الحسن [الكاظم عليه السلام] اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضبت؟

فقال: نعم، إنّ التهيئة ممّا يزيد في عفّة النساء، ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهنّ التهيئة. ثمّ قال: أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا، قال: فهو ذاك.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبّتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها[٢].

---

(١) الكافي: ٥/ ٥١١ ح٥.

(٢) راجع لذلك ميزان الحكمة: ٢/ ١١٨٥، والبحار: ٧٨/ ٢٣٧ و١٠٣/ ٢٥٣ والكافي: ٥/ ٥٦٩.



❁ بعض حقوق الزوج

وللزوج حقوق أيضاً يجب على الزوجة أداؤها منها ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاءت امرأة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت: يارسول الله ما حقّ الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدّق من بيته إلّا بإذنه ولا تصوم تطوّعاً إلّا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب(١)، ولا تخرج من بيتها إلّا بإذنه وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتّى ترجع إلى بيتها.

فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقّاً على الرجل؟ قال: والده، فقالت: يارسول الله من أعظم الناس حقّاً على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فمالي عليه من الحقّ مثل ما له عليّ؟ قال: لا، ولا من كلّ مائة واحدة، قال: فقالت: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لا يملك رقبتي رجل أبداً.

وعن سعد بن أبي عمرو الجلّاب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حقّ لم تقبل منها صلاة حتّى يرضى عنها، وأيما امرأة تطيّبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتّى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعظم الناس حقّاً على المرأة زوجها وأعظم الناس حقّاً على الرجل أمّه.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: لا شفيع للمرأة أنجع عند ربّها من رضا زوجها، ولمّا ماتت فاطمة عليها السلام قام عليها أمير المؤمنين عليه السلام وقال: اللّهمّ إنّي راضٍ عن ابنة نبيّك، اللّهمّ إنّها قد أوحشت فآنسها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها.

وقال قيس بن سعد: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فقلت: رسول

(١) ظهر بعير.
(٢) راجع لذلك الكافي: ٥/٥٠٧ ح١ ـ ٢.



الله أحقّ أن يُسجد له، قال: فأتيت النبيّ ﷺ فقلت: إنّي أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحقّ أن نسجد لك، قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟

قال: قلت: لا، قال: فلا تفعلوا، لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدنّ لأزواجهنّ لما جعل الله لهم عليهنّ من الحقّ.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كلّ دنس حتّى يطمئنّ قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلّة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة، والهيئة الحسنة لها في عينه[(١)].

وفي حديث ذكر فيه النبيّ ﷺ حقوق الزوج المتقدّمة وزاد: . . . وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية[(٢)].

وقال ﷺ: «أي امرأة تطيّبت ثمّ خرجت من بيتها فهي تُلعن حتّى ترجع إلى بيتها متى ما رجعت»[(٣)].

وفي رواية: «. .لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها»[(٤)].

وقال ﷺ: «. . .ولا تعطي شيئاً إلّا بإذنه فإن فعلت فعليها الوزر وله الأجر. . .»[(٥)].

وقال ﷺ: «فأيما امرأة صلّت. . . وزكّت مالها وأطاعت زوجها ووالت عليّاً بعدي دخلت الجنّة بشفاعة فاطمة»[(٦)].

---

(١) راجع لذلك ميزان الحكمة: ٢/ ١١٨٥، والبحار: ١٠٣/ ٢٥١، والكافي: ٥/ ٥٠٧.
(٢) ميزان الحكمة: ٢/ ١١٨٤.
(٣) الكافي: ٥/ ٥١٨ ح٢.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٤٣٨ ح٤٥١٣.
(٥) الكافي: ٥/ ٥٠٨ ح٨.
(٦) بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٤ ح٢٠.



وفي حديث يحكي عن أثر طاعة الزوج مرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله ﷺ خرج في بعض حوائجه فعهد إلى امرأته عهداً ألا تخرج من بيتها حتّى يقدم قال: وإنّ أباها مرض فبعثت المرأة إلى النبيّ ﷺ.

فقالت: إنّ زوجي خرج وعهد إليّ أن لا أخرج من بيتي حتّى يقدم، وإنّ أبي قد مرض فتأمرني أن أعوده؟

فقال رسول الله ﷺ: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فثقل فأرسلت إليه ثانياً بذلك، فقالت: فتأمرني أن أعوده؟ فقال: اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فمات أبوها فبعثت إليه أنّ أبي قد مات فتأمرني أن أصلّي عليه؟ فقال: لا، أجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فدفن الرجل فبعث إليها رسول الله ﷺ إنّ الله قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك[1].

❁ استحباب خدمة الزوجة

وعلى الزوج أيضاً أن يشعر بزوجته وما تعانيه فيهتمّ بها ويساعدها كما كان علي عليه السلام يساعد فاطمة عليها السلام كما تقدّم، وله ثواب في ذلك كما ورد عن رسول الله ﷺ قال: إذا سقى الرجل امرأته أجر.

وعنه ﷺ: لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدّنيا والآخرة.

وعنه ﷺ: اتّقوا الله في الضعيفين: اليتيم والمرأة، فإنّ خياركم خياركم لأهله.

الإمام الصادق عليه السلام: من حسن برّه بأهله زاد الله في عمره.

قال رسول الله ﷺ: جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا.

وعنه ﷺ: إنّ الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته[2].

---

(١) الكافي: ٥/٥١٣ ح١.

(٢) راجع لذلك الخصال: ١/٨٨، والوسائل: ١٤/١٢٣، والكافي: ٥/٥٠٧.



لا يعيب الرجل أن يخدم زوجته عند حاجتها، أو يحلّ مكانها في المنزل عند الضرورة، أو يساعدها في تربية الأولاد، وتهيئة أسباب المعيشة، كما ولا يعيبه أن يكرمها جزاء ما تفعله في المنزل من الخدمة الغير ملزمة بها، ولما تلقاه من مشقة العمل وتربية الأولاد وتنظيفهم وترتيبهم.

❁ استحباب خدمة الزوج

الإمام الصادق عليه السلام: **سألت أمّ سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن فضل النساء في خدمة أزواجهنّ، فقال: أيما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلّا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذّبه.**

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: **جهاد المرأة حسن التبعّل.**

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **أيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيّام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار وفتح لها ثمانية أبواب الجنّة تدخل من أيّها شاءت.**

وقال عليه السلام: **ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلّا كان خيراً لها من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها**(١).

والروايات كثيرة في هذا المجال، وبالجملة كلّ ما يصدق عليه أنّه خدمة للزوج ففعله مستحبّ أو واجب وثواب المرأة من الله تعالى.

وينبغي خدمة الزوج بلا منّة، وأن تنوي الزوجة في خدمتها لزوجها القربة لله تعالى حتّى في الإتيان بشربة الماء أو لقمة الطعام فإنّ الأجر يتضاعف.

❁ استحباب الصبر على الزوجة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله تعالى بكلّ يوم وليلة يصبر عليها من ثواب ما أعطى أيّوب عليه السلام على بلائه، وكان عليها من الوزر في كلّ يوم وليلة مثل رمل عالج**(٢).

---

(١) راجع لذلك الوسائل باب مقدّمات النكاح رقم ٧٩ ح٢.

(٢) الوسائل: ٢٠/ ١٦٤ ح٢٥٣١٥، والبحار ٧/ ٢١٦.

لا بدّ للزوج من التحلّي بالصبر والحكمة في حياته الزوجية لأنّه المسؤول عن نجاح هذه العائلة واستقامة هذا البيت فهو ربّ المنزل وصاحبه وإليه أُسندت القيوميّة بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(١).

وليس نقصاً في المرأة أن يكون هناك من يدير أمورها ويدبّرها ويرسم لها الطريق الصحيح، لأنّ كلّ منزل يحتاج إلى مدبّر وقيّم يرعى شؤونه، كما لا يعيب الناس أن يكون عليهم رئيس وقيّم أو الأمّة أن يكون عليها وليٌّ وقائد.

فمن أجل ذلك ـ تدبير شؤون المنزل وسياسته باتجاه واحد وعدم وجود أكثر من قبطان لسفينة واحدة ـ كانت الحكمة الإلهيّة في أن يكون الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم من المزايا والمواهب والإبتكارات.

ومن هنا إذا تعرّضت الحياة الزوجية لخطر أو مشكلة فعلى الرجل أن يتصدّى لحلّها، نعم المرأة مسؤولة أيضاً معه على حلّ المشاكل.

وأمّا سوء الخُلق من الزوجة فإن وجد في امرأة ما ـ أعاذ الله كلّ امرأة منه ـ فإن كان ناتجاً عن حالة مرضيّة أو نفسانية أو عصبية فعلى الزوج أن يعالج ذلك بالأساليب الحكيمة أو الحديثة مع التوسّل بأهل البيت ﷺ.

وإن كان ناتجاً عن سوء تربية أو انحراف خُلقي فعليه أن يصبر عليها ويبتدأ معها ببرنامج تربوي وأخلاقي، ولا بأس بالاستعانة بكتب الأخلاق أو مدرّسيها، ولا ينسى التوسّل بأهل البيت أيضاً والدعاء لها.

ويتأكّد ذلك فيما إذا كان هناك أولاد فإنّ الاهتمام بالزوجة عندها يكون أهمّ لكي لا تؤثّر على الأولاد.

وعلى المرأة أن تتّقي الله ولا تُسيء إلى زوجها وأولادها وبيتها، وأن تقتدي بفاطمة ﷺ في التعامل مع زوجها وأولادها بالخلق الحسن والصدر الواسع والحنان والعطف.

ومرادنا بسوء الخُلق هو الدائم منه وإلّا لو صدر لمرّة أو مرّتين فإنّه يزول بالتفاهم والصبر، سواء كان ذلك من الزوجة أو الزوج فَجَلَّ من لا يُخطئ، عصمنا الله من الزلل.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.



❁ حرمة إيذاء وضرب الزوجة

قال رسول الله ﷺ: **ألا وإنّ الله ورسوله بريئان ممّن أضرّ بامرأة حتّى تختلع منه.**

وعنه ﷺ: **إنّي لأتعجّب ممّن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها**[1].

وضع الله في قلب كلّ إنسان الرحمة فيجب عليه أن يظهرها وبالأخصّ على زوجته وأولاده وأبويه، وقد ورد في الروايات أنّ الذي لا يَرحم لا يُرحم[2].

ومن هنا حرّم الله على الرجل أذيّة زوجته وإلحاق الضرر بها، ويشمل ذلك الضرب والإهانة والقهر وإحراجها أمام الناس وسبّها وظلمها في العيش والمعاملة والملبس والمأكل وما شابه ذلك.

ولماذا يؤذي الزوج زوجته ويضرّ بها، أوليست هي ريحانة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ[3]، ومعلوم أن الريحانة تشم وتحفظ في مكان جيد لائق.

وإذا أوذيت الزوجة وقهرت فكيف تكون تربية أولادها وكيف تكون نفسيّتها في تعاطيها معه من جهة المأكل والملبس والاحترام والطاعة.

أوليس أذيّة الزوجة نقضاً للغرض، ألم يتزوّج منها من أجل أن يسكن إليها ليلاً ويطمئن ويشكّل معها أسرة متكاملة خلوقة؟!

لماذا يغضب الزوج ربّه ويخرّب مستقبل أولاده وأخلاقهم ويكدّر عليه لذة السكن الليلي.

يجب على كل رجل أن يحتاط في التعامل مع زوجته، فلا يظلمها ولا يقهرها، بل يتعامل معها بالحسنى وبما يرضي الله تعالى.

❁ حرمة إيذاء الزوج

قال الإمام الصادق عليه السلام: **ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمّه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله.**

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٤/ ٢٥٠ ح١٦٦١٨.

(٢) راجع الاستبصار: ١/ ٢٦٧ ح٩٦٦.

(٣) نهج البلاغة: ٣/ ٥٦، والكافي: ٥/ ٥١٠.



وقال رسول الله ﷺ: **من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتّى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر... وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً**(١).

من الكبائر أن تتصدّى المرأة لإهانة زوجها وأذيّته، سواء كان ذلك أمام الناس أم أمام أولادها أم في خلوتهما.

وسواء كان في الكلام القبيح والسباب وقلّة الاحترام والتقدير، أم كان في الفعل، كوضع المنفر بينها وبينه كما يأتي، أو عدم الاهتمام بلباسها وطعامها أو تصرّفها بما يزعجه، أو الإتيان بمن لا يرضى إلى بيتهما.

ولا أدري إن كان هناك من تؤذي زوجها وهي تريد أن تبقى معه، فإنّ من لا يحبّ الفراق والطلاق ويحبّ الستر والعيش بحرّية وكرامة لا يفعل مثل ذلك، فعلى المرأة التي تؤذي زوجها بأيّ نوع من الأذيّة وبأيّ كمّية كانت أن تتّقي الله وتحافظ على بيتها وزوجها وأولادها وشرفها وكرامتها.

وماذا تريد المرأة المؤمنة غير ذلك، وغير مرضاة الله تعالى، وفي الحديث أنّها مهما صلّت وصامت لا ينفعها إذا كانت تؤذي زوجها(٢)، وأنّها لا تنال شفاعة **فاطمة** يوم القيامة إلّا بطاعة زوجها(٣)، هذا بلحاظ الآخرة، وأمّا في الدُّنيا فعندما تكرم الزوجة زوجها وتحترمه سوف يعاملها بالمثل، بل قد يزيد عليه حبّاً وكرامة أو حياءً عند بعض.

وعليها أن تصبر على سوء خلق الزوج فإنّ لها ثواب آسية بنت مزاحم كما في حديث النبيّ ﷺ(٤)، ولتحاول رفع ذلك عنه ومساعدته في ترك الغضب والسوء والتخفيف عنه عند العودة من عناء العمل.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٨٤، والوسائل: ١٤/١١٦ ح٨٢.

(٢) وعن سعد بن أبي عمرو الجلّاب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حقّ لم تقبل منها صلاة حتّى يرضى عنها، وأيما امرأة تطيّبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتّى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها. راجع الكافي: ٥/٥٠٧ ح١ ـ ٢.

(٣) قالت مولاتنا فاطمة عليها السلام (فأيما امرأة صلّت... وزكّت مالها وأطاعت زوجها ووالت عليّاً بعدي دخلت الجنّة بشفاعة فاطمة) بحار الأنوار: ٤٣/٢٤ ح٢٠.

(٤) مكارم الأخلاق: ٢١٤، والبحار: ١٠٠/٢٤٧.



٢١ ـ حق المملوك

قال عليه السلام: وأما حق مملوكك[١] فأن تعلم أنه خلق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك، تملكه، لا أنت[٢] صنعته من دون الله ولا خلقت شيئاً من جوارحه (سمعاً ولا بصراً)، ولا أخرجت[٣] له رزقاً، ولكن الله عزّ وجلّ كفاك ذلك ثم سخّره[٤] لك وائتمنك عليه واستودعك إياه، ليحفظ[٥] لك ما تأتيه من خير إليه (وتسير فيه بسيرته فتطعمه مما تأكل، وتلبسه مما تلبس، ولا تكلّفه ما لا يطيق)[٦]، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته (خرجت إلى الله منه)[٧] واستبدلت به، ولم تعذب خلق الله عزّ وجلّ، ولا قوة إلا بالله تعالى.

ذكر عليه السلام جملة من الحقوق على الإنسان أن يراعيها مع مملوكه الذي هو خلق من خلق الله انحدر من سلالة أبينا آدم عليه السلام وأمنا حواء عليها السلام، فلحمه لحمنا، ودمه دمنا، ولذلك له حقوق علينا.

ونبّه عليه السلام أن الله هو خالق هذا المملوك وهو رازقه وحاميه، فلا يفتكر المرء إذا ملك شيئاً أنه أصبح الخالق والرازق والمنعم الأساسي له وعليه، بل الله رازق وخالق كل شيء.

وجمل الإمام هذه الحقوق بما يلي:

١ ـ أن المرء مؤتمن على المملوك: فهو أمانة وضعها الله لديك فعليك أن تحافظ عليها ولا تفرط بها.

٢ ـ إطعامه وكسوته بما يليق: أي أن لا يميزه في الطعام بل يطعمه من نفس طعامه ويلبسه من لباسه.

---

(١) في نسخة: رعيتك بملك اليمين.
(٢) في نسخة: لم تملكه لأنك.
(٣) في نسخة: أجريت.
(٤) في نسخة: بمن سخره.
(٥) في نسخة: لتحفظه فيه.
(٦) من نسخة أخرى.
(٧) من نسخة أخرى.



٣ ـ عدم تحميله مالا يطيق: وذلك بأن يشغّله طيلة النهار أو الليل ولا يرفق بحاله.

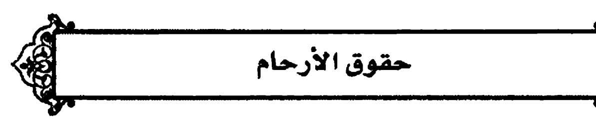
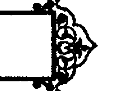
٤ ـ الإحسان إليه ورحمته: أي إكرامه ببعض الهدايا أو إرساله للزيارة والحج عدم القسوة عليه وإعطائه فرصة زيارة أرحامه أو مراسلتهم.

٥ ـ عدم تعذيبه: فلا يجوز ضربه وأذيته ومعاملته كالحيوانات بل يجب رعايته ومعالجته إذا مرض وعدم التفريط بصحته ومعاملته كأنه أحد أفراد الأسرة.

وهذه الحقوق تنطبق في هذا الزمان على الخدم الذين يعملون في البيوت، فهم خلق الله وعياله وأولاد أبينا آدم رِزْقهم على الله هو خالقهم وضعهم أمانة بين أيدينا يجب الحفاظ عليها وعدم تعذيبهم وأذيتهم وقهرهم وحرمانهم مما يحتاجون إليه خاصة العلاج.





حقوق الأرحام

قال ﷺ: وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، وأوجبها عليك: حق أمك ثم حق أبيك ثم حق ولدك ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى[١].

❁ صلة الرحم وأثرها

الرحم في اللغة عبارة عن علاقة القرابة، وهي مأخوذة من رحم الأنثى، وهو موضع النسل، والأقارب كلّ مَن يجمع بينكَ وبينه نسب. مع تفاوت بينهم فيقدم الوالدين على غيرهم ويقدم الأم على الأب، ثم الأولاد ثم الأخوة ثم الأعمام والأخوال ثم أولادهم.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[٢].

وقال عزّ مِن قائل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾[٣].

اهتمّ القرآن الكريم بالأقارب لِما فيه من آثار مهمّة نفسيّة واجتماعيّة كما يأتي، فمن خلال الأقارب تبنى الأُسرة وتنتشر المودّة بين أفراد المجتمع، وعلى العكس يكون الأمر في قطع الرحم وترك التواصل معه.

وقد أوصى رسول الله ﷺ أمّته بذلك قائلاً: «أُوصي الشاهد من أُمّتي والغائب منهم ومَن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة، أن يصل الرحم وإن كان منه على مسير سنة، ذلك من الدين»[٤].

---

(١) في نسخة: والأول فالأول.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة محمّد، الآية: ٢٢.

(٤) ميزان الحكمة: ٢/١٠٥٦، ح١٤٦٥.



وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الرحم معلّقة بالعرش تقول: اللّهمّ صلّ مَن وصلني واقطع مَن قطعني، وهي رحم آل محمّد ورحم كلّ ذي رحم»[1].

وقال عليه السلام: «إنّ الله تعالى أمر باتّقاء الله وصلة الأرحام، فمن لم يَصِل رحمه لم يتّق الله عزّ وجلّ»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ أَفْضَلَ ما تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ الإِيْمانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ... وصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّها مَثْراةٌ في الْمالِ ومَنْسَأَةٌ في الأَجَلِ.

قال حبيب الله الخوئي: قوله: (صلة الرّحم فإنها مثراة في المال ومنساة في الأجل) يعني أنها موجبة للزيادة في المال والتأخير في الأجل ومحلّ لهما، وقد مرّ الكلام فيها مستوفى في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثالثة والعشرين.

وقال الشارح البحراني: كونها مثراة في المال من وجهين:

أحدهما: أن العناية الإلهية قسمت لكلّ حيّ قسطاً من الرزق يناله مدّة الحياة الدّنيا وتقوم به صورة بدنه، فإذا اعدّت شخصاً من النّاس للقيام بأمر جماعة وكلّفته بإمدادهم ومعونتهم وجب في العناية إفاضة أرزاقهم على يده وما يقوم بإمدادهم بحسب استعداده لذلك، سواء كانوا ذوي أرحام أو مرحومين في نظره حتّى لو نوى قطع أحدهم فربما نقص ماله بحسب رزق ذلك المقطوع، وذلك معنى كونه مثراةً للمال.

الثّاني: أنّ صلة الرّحم من الأخلاق الحميدة التي يستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم في نظر الكل، فيكون ذلك سبباً لإمداده ومعونته من ذوي الإمداد والمعانات كالملوك ونحوهم فكان صلة الرحم مظنّة لزيادة المال.

وكونها منساة في الأجل من وجهين:

أحدهما: أن صلة الرّحم توجب تعاطف ذوي الأرحام وتوازرهم ومعاضدتهم لواصلهم، فيكون عن أذى الأعداء أبعد وفي ذلك مظنّة تأخيره وطول عمره.

الثّاني: أن مواصلة ذوي الأرحام توجب تعلّق هممهم ببقاء واصلهم وإمداده

(١) الوسائل: ١٥/ ٢٤٤، ح٢٧٧٨٩.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٣٤.

بالدّعاء، ويكون دعاؤهم وتعلّق هممهم ببقائه من شرائط بقائه ونساء أجله فكانت مواصلتهم منسأة في أجله.

❁ صلة قاطع الرحم

قال رجل للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله إنّ أهل بيتي أبوا إلّا توثّباً عليّ وقطيعة لي فأرفضهم؟

فقال صلى الله عليه وآله: **إذاً يرفضكم الله جميعاً.**

قال: فكيف أصنع؟

قال صلى الله عليه وآله: **تصل مَن قطعكَ وتعطي من حرمكَ وتعفو عمّن ظلمكَ، فإنّكَ إذا فعلت ذلك كان لكَ من الله عزّ وجلّ عليهم ظهير**[1].

وفي لفظ عن الإمام الصادق عليه السلام: إنّك إذا وصلته وقطعكَ وصلكما الله جميعاً وإنّ قطعته وقطعكَ قطعكما الله جميعاً[2].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: ما من خطوة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من خطوتين: خطوة يسدّ بها المؤمن صنعاً في الله وخطوة إلى ذي رحم قاطع[3].

فيتبيّن **أوّلاً**: أنّه لا مبرّر لما يقال هنا وهناك من أجل ترك زيارة الأقارب بحجّة تركهم للزيارة، فحتّى لو كان أخي أو عمّي أو ابن عمّي أو خالتي وابنها لا يأتون لزيارتي أو لا يهتمّون بذلك، فإنّه يجب عليّ أن أسعى لزيارتهم أوّلاً ولهدايتهم ثانياً.

ثانياً: إذا عصيت ربّي أنا أيضاً وتركت زيارة أقاربي، فإنّ الله تعالى سوف يعاقبنا جميعاً، أمّا إذا وصلت أرحامي القاطعين أو الفاسقين، فإنّه تعالى سيرحمنا جميعاً، وعليه فسأكون ـ ومن خلال عمل بسيط ـ رافعاً لنقمةِ الله تعالى عنّي وعن رحمي.

ثالثاً: من خلال تردّدي على أرحامي مرّة بعد أخرى، فإنّه سوف يؤثّر فيهم، خاصّة

(١) الوسائل: ١٥/ ٢٤٧، ح٢٧٧٩٩.
(٢) المصدر السابق: ح٢٧٨٠٠.
(٣) الخصال: ٥٠، ح٦٠.



إذا تعاملت معهم بالحسنى والآداب الإسلاميّة، ولا ضير أن أدعو لهم في صلاتي أن يهديهم الله تعالى، فإنّ لي بذلك أجرٌ عظيم.

❁ آثار صلة الرحم

ويمكن تصنيفها إلى ما يلي على ما ورد في الروايات[١]:

١ ـ صلة الرحم تزكّي العمل.

٢ ـ صلة الرحم تنمّي الأموال وتزيد في الرزق وتنفي الفقر.

٣ ـ صلة الرحم تدفع البلوى والمحن (البلاء).

٤ ـ صلة الرحم تحسّن الخلق.

٥ ـ صلة الرحم تسمح الكفّ.

٦ ـ صلة الرحم تطيّب النفس.

٧ ـ صلة الرحم تنمّي العدد وتزيد في العمر.

٨ ـ صلة الرحم تعمّر الديار.

٩ ـ صلة الرحم تعصم من الذنب.

١٠ ـ صلة الرحم تقي ميتة السوء.

١١ ـ صلة الرحم تهوّن سكرات الموت.

١٢ ـ صلة الرحم تهوّن الحساب.

❁ آثار اجتماعيّة لصلة الرحم

قال أمير المؤمنين ﷺ: «أكرم عشيرتكَ، فإنّهم جناحكَ الذي به تطير، وأصلكَ الذي إليه تصير، ويدكَ التي بها تصول»[٢].

---

(١) انظر ميزان الحكمة: ٤/ ٨٤ ـ ٨٥، والوسائل: ١٥/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤، ح٢٧٧٨٦، وما بعده البحار: ٤٨/ ١٢٢ ـ ١٢٥.

(٢) البحار: ٧٤/ ١٠٥.



وقال عليه السلام: «أيُّها الناس إنّه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمّهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به، ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير من المال يرثه غيره.

الا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدّها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه، ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنّما تقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة، ومن تلن حاشيته يستمد من قومه المودّة»[١].

أقول: في هذا الكلام النوراني دستور للعمل الاجتماعي نطق به الوحي على لسان مَن هو أفضل من الوحي، أمير الخلق عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه وآله وسلّم كثيراً ـ، إذا وصل الإنسان عشيرته وزار أرحامه وأكرمهم وفضّلهم، فإنّهم سوف يكونون عوناً له في المجتمع، فإذا أراد أن يتقدّم ويرتقي، فإنّهم عونه وجناحاه، وإذا أراد أن يضرب فهم يده التي بها يصول.

وإذا أراد أن يتكلّم ويكون كلامه مفيداً مؤثّراً فعليه بالإستقامة بألسنة عشيرته وأقربائه.

وإذا خذله الناس فإنّ أرحامه أصله الذي إليه ينتسب ومنه ولد، فإنّهم يلمّون شعثه ويجمعون ما فرّقه الناس عنه، فيسيرون وراءه لحمايته.

وإذا نزلت به بليّة أو مصيبة فلن يجد أرأف من رحمه ولا أعطف من أقربائه.

ولا يتوهم الإنسان أن أصدقاءه أفضل من أرحامه، لأنّ الصديق قد يصبح عدوّاً يوماً ما لكن الرحم تشدّ إلى رحمها والقريب يحنّ إلى قريبه، والدم لا يصبح ماء.

ومن يستغني عن عشيرته وأرحامه، فإنّهم هم لن يتأثّروا، لأنّهم لم يخسروا إلّا يداً وعقلاً واحداً، ولكن هو سوف يفقد ويخسر أيد متعدّدة وعقولاً متكثّرة، فليتّق الإنسان ربّه وليحسن إلى أرحامه، فهو الربحان والمستفيد دنيا وآخرة.

وبصلة الرحم تتلاقح الأفكار وتنمو وتنتشر، إذ الأخ يفيد أخاه وابن العم يسمع له

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣، والبحار: ٧٤/ ١٠٤.



وابن الخالة يهمّه تطوير عقل رحمه وتفوّقه في المجتمع، فمن خلال التزاور تصرّح الأفكار وتناقش وتبرم القرارات وتنفّذ.

وصلة الرحم ـ كما تقدّم في الآثار المأخوذة من روايات النبيّ وأهل بيته ﷺ ـ تنمّي الأموال وتزيد في الرزق وتنفي الفقر وهذا أثر اجتماعي آخر، يقوى به الرحم ليقوى من ورائه مجتمعه.

صلة الرحم تسمح الكفّ ليطال المجتمع ومشاريعه ومؤسّساته، فيصبح الإنسان معطاءً لكلّ أفراد المجتمع.

صلة الرحم تعمّر الديار وتوسّعه وتجعله مقصداً لجميع الناس وملجئاً للمحتاجين.

❁ آثار قطيعة الرحم

ورد في أحاديث أهل البيت ﷺ جملة من الروايات تشير إلى أنّ الذي يترك ويتهاون بصلة الرحم تحلّ عليه أمور، ويسمّى القاطع لرحمه، ومن هذه الأمور:

١ ـ قال الإمام الباقر ﷺ: **«إن قطيعة الرحم تذرن الديار بلاقع من أهلها»**(١).

٢ ـ قال الصادق ﷺ: **«اتّقوا الحالقة فإنّها تميت الرجال.**

قيل: وما الحالقة؟ قال: قطيعة الرحم»(٢).

٣ ـ قطيعة الرحم من الذنوب التي تعجّل الفناء(٣).

٤ ـ قال أمير المؤمنين ﷺ: **«إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار»**(٤).

٥ ـ قطيعة الرحم تعمي الأبصار(٥).

---

(١) الوسائل: ١٥/ ٢٠٩، ح٢٧٦٧٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.



٦ ـ قطيعة الرحم تقطع النسل[١].

٧ ـ قطيعة الأقارب تعجّل العقوبة[٢].

٨ ـ قطيعة الرحم تحلّ النقمة وترفع الرحمة[٣].

٢٢ ـ حق الأم

قال ﷺ: وأما حق أمك فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل[٤] أحد أحداً، وأعطتك[٥] من ثمرة قلبها ما لا يعطي[٦] أحد أحداً، ووقتك، (بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة موبلة محتملة[٧] لما فيه مكروهها وألمه وثقله وغمه، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض) ولم تبال[٨] أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك[٩]، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، (وتُنعّمك ببؤسها، وتلذّذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاء، وحجرها لك حواء، وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء، تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك[١٠]، فتشكرها على قدر ذلك) وإنك لا تطيق شكرها (ولا تقدر عليه)[١١] إلا بعون الله وتوفيقه.

بدأ ﷺ بشرح تفاصيل الأرحام وحقوقهم وقدّم الأم لعظيم حقها وعنائها منذ أن كان الولد في بطنها طيلة تسع أشهر حتى ولد فبدأت الأم بتربيته رضيعاً وعنايته ليلاً أكثر

---

(١) المصدر السابق.
(٢) ميزان الحكمة: ح٧٠٧٨.
(٣) المصدر السابق.
(٤) في نسخة: يحمل.
(٥) في نسخة: وأطعمتك.
(٦) في نسخة: يطعم.
(٧) في نسخة: متحملة. ومعنى موبلة: أي كثير عطاياها.
(٨) في نسخة: فرضيت.
(٩) في نسخة: وترويك وتظمأ.
(١٠) في النسخة الأولى: ووقتك الحر والبرد، لتكون لها.
(١١) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.



من النهار، وإن الإبن لا يشعر بهذا العناء ـ وللأسف ـ إلا عندما يتزوج ويرى معاناة زوجته ورعايتها لحملها وطفلها وتربيته والسهر عليه ليلاً وحمايته من البرد والحر والهواء والغبار . . .

ويروى في قصة أن رجلاً كان يحمل أمه في الطواف ويقول:

إنـــي لـــهـــا مَـــطـــيّـــةٌ لا أذْعَـــرُ   إذ الـــرِكَـــابُ نَـــفَـــرَتْ لا أنـــفـــرُ
مـــا حَـــمَـــلَـــتْ وأرْضَـــعـــتْـــنـــي أكـــثـــرُ   الـــلـــه ربـــي ذو الـــجـــلال أكـــبَـــرُ

ثم التفت إلى ابن عباس وقال: أليس أني قضيت حقها؟

فقال ابن عباس: لا والله ولا طلقةً واحدةً[١].

فمهما فعل الابن لا يصل الى معاناة الأم عند الولادة.

❁ أثر زيارة قبر الأم

كان بعض الصالحين له أمّ صالحة فلمّا جاءها الموت قالت: اللّهم لا توحشني في قبري، فلمّا ماتت صار ولدها يزورها كلّ جمعة ويدعو لها ولجيرآنها، فرآها في منامه فسألها عن حالها فقالت: كرب الموت شديد وأنا بحمد الله في برزخ حسن، يابنيّ لا تترك زيارتنا في كلّ جمعة فإنّي أفرح أنا وجيراني بزيارتك ودعائك[٢].

❁ أثر رعاية حق الأم

يحكى أنّ رجلاً صالحاً من بني إسرائيل كان له صبي وعِجلة فلمّا حضرته الوفاة قال: اللّهمّ انّي استودعكَ هذه العِجلة لهذا الصبي، فلمّا كبر الولد اجتهد في العبادة ليلاً وبالعمل نهاراً فيتصدّق بثلث ما ينتجه ويأكل بثلث ويعطي أُمّه ثلث، وفي يوم قالت أُمّه له: اذهب وبع العجلة في السوق بثلاثة دنانير ولا تنجز المعاملة إلّا بإذني، فذهب فوجد مشترياً، فقال له: خذ ثمنها ستّة دنانير ولا تستأذن أُمك، فرفض، فقدر الله على بني إسرائيل ذبح بقرة بالمواصفات المذكورة في القرآن الكريم فلم توجد إلّا عند ذلك الصبي فباعها بملء جلدها ذهباً مكافأة على برّ أُمّه والإنفاق عليها[٣].

---

(١) يريد طلقات الولادة.
(٢) نزهة المجالس: ١/ ٢٠٥.
(٣) نزهة المجالس: ١/ ١٩٧ بتصرّف.



❁ أثر رحمة الأم

يحكى أنّ أمّاً طلبت من ابنها ماء في الشتاء فجاءها به فوجدها نائمة فانتظر يقظتها فلمّا استيقظت أعطاها الماء، وكان قد سال بعض الماء على إصبعه فجمد عليه من شدّة البرد فانسلخ الجلد فسال الدم فقالت: اللّهمّ إنّي راضية عنه فارض عنه، وكانت في مدّة حملها به لا تمدّ يدها إلى طعام فيه شبهة، ويروى أنّه بعد موته رؤي وهو يطير في الجنان ويسبّح الرحمن فسئل بِمَ نِلت ذلك؟

فقال: ببرّ الوالدين والصبر على الشدائد[١].

وسوف يأتي تفصيل حقوق الأم مع حقوق الأب قريباً.

٢٣ ـ حق الأب

قال عليه السلام: وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك، (وأنك فرعه)[٢] وأنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله تعالى.

❁ حقوق الوالدين

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٣].

وقال عزّ من قائل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

وقال تعالى في محكم كتابه: ﴿... أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٥].

---

(١) نزهة المجالس: ١/١٩٦ بتصرّف. (٢) من نسخة أخرى.
(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤.
(٤) سورة لقمان، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٤.



❁ معنى شكر الوالدين وكيفيته

وقال إمامنا الصادق عليه السلام: «مَن لم يشكر الوالدين لم يشكر الله»[(١)].

ومعنى شكر الوالدين هو أداء جميع حقوقهما من طاعة وبرّ واحترام وتقدير ونفقة وحماية من الأخطار، في حياتهما وبعد وفاتهما كما يأتي تفصيله.

وهو من الأمور الواجبة لوجوب شكر كلّ منعم، وقد أشار العلّامة الطباطبائي في الآية أنّها تدلّ على وجوب شكر الوالدين كوجوب الشكر لله، بل هو من شكره تعالى لانتهائه إلى وصيّته وأمره سبحانه، فشكرهما عبادة له تعالى وعبادته شكر[(٢)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أكرم شابٌ شيخاً لسنّه إلّا قيّض الله له عند كبر سنّه مَن يُكرمه»[(٣)].

ومَن الشكر للوالدين حسن معاشرتهما وإدخال السرور على قلبيهما المفعمة بالعطف والحنان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نظرك إليهما ونظرهما إليك وضحككَ إليهما وضحكهما إليك أفضل من تحطّم السيوف في سبيل الله»[(٤)].

فأثناء مجالسة الوالدين ينبغي التلطّف معهما وإدخال السرور على قلبيهما، بحسن الحديث والأدب معهما وعدم العبوس في وجهيهما، وعدم قطع كلامهما مهما كان نوع الكلام وفي أيّ زمن كان.

وفي الظروف الصعبة والمحن الشديدة يحتاج الأبّ والأُمّ إلى أولادهما ليكونوا إلى جانبهما.

فعلى فتيات العصر وشبابه التواجد عند آبائهم وأُمّهاتهم في فترات المرض والمحنة وقبيل الوفاة، فإنّ الأب والأُمّ يحبّان من أولادهم ذلك، ولا يطمئنّ الرجل في هذه الظروف القاسية إلّا لابنته ولابنه.

---

(١) شجرة طوبى: ٢/ ٣٧٢.
(٢) تفسير الميزان: ١٦/ ٢١٦.
(٣) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٩٣.
(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٧٤، ح٢١٧.



وهكذا في هذه الأزمنة ينبغي متابعة الآباء ومراقبتهم ومراقبة مواعيد أدويتهم إذا كانوا مرضى، وملازمتهم في حالة أمراضهم في المستشفيات وفي البيت.

ومن الشكر للوالدين برّهما حيّين وميّتين ـ كما يأتي ـ بأن يبقى يشكرهما على ما أنعما عليه من النِعم، وأن يفي عنهما ديونهما وأماناتهما وما تعلّق بذمّتهما، وأن يستغفر لهما ويدعو لهما في صلاته وخارجها، ويزور ويحجّ عنهما.

❁ الإحسان ورحمة الوالدين

الرحمة مطلوبة من كلّ أحد على كلّ واحد، فمن لم يَرحم لا يرحم كما في الحديث[١]، ومن لا يرحم مَن في الأرض لا يرحمه من في السماء كما في حديث آخر[٢].

وتشتدّ الرحمة على طوائف: الأطفال، المرضى، الجرحى، المعاقين، المجانين، النساء، والوالدين، وذلك لخصائص تختلف من طائفة لأخرى، أمّا الوالدين فالرحمة بهما لمكانتهما وشرفهما وعظيم قدرهما عند الله، ولمّا قدّما وضحّيا من أجل الأبناء، وقد نهى أهل البيت ﷺ ترك الرحمة لهم حتى بالنظر: **«لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلّا برحمة ورقّة»**[٣].

وفي حديث: «مَن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما».

وفي آخر: «مَن نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة»[٤].

وفي ثالث: **«ما من رجل بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلّا كتب الله تلك النظرة حجة متقبلة مبرورة»**[٥].

ولا يجوز للأبناء القسوة على الوالدين لا في الكلام ولا في الأفعال، فالكلام

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٨٠، ح٥٨١٠.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٧٩، ح٥٨٠٦.
(٣) أصول الكافي: ٢/ ١٥٨.
(٤) أصول الكافي: ٦ ٢/ ٣٤٩، والبحار: ٧٤/ ٦١.
(٥) مكارم الأخلاق: ٧٤.

القاسي والشديد محرّم توجيهه إلى أحد الأبوين، وكذا وضع الأب في عمل صعب لا طاقة له عليه ـ أو الأم في بعض الأحيان ـ وكذا وضعهما في منزل غير مهيّأ للسكن أو غير مجهّز، كما لو كان يدخل المطر في الشتاء أو الشمس والحرارة في الصيف، أو كان في مكان بعيد عن الناس أو لوازم المعيشة؛ ففي هذه الحالات يجب على الأبناء السعي لرفع المشقّة عنهما ـ بقدر الاستطاعة ـ ووضعهما في مكان مناسب يليق بحال الآباء الذين كانوا كالشمعة تحرق نفسها لتضي للأبناء.

ويزداد الأمر إذا تقدّم أحدهما في السن، فإنّ الرحمة تكون آكد كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١].

فعندما يصبح الوالدين في سنّ الخمسين مثلاً فإنّ معيشتهما تختلف من الناحية النفسيّة والماديّة والاجتماعيّة، فصبرهما يقل عن التحمّل، وصدرهما يصبح ضيّقاً عن كثير من الأمور، وحبّهما للراحة يزداد، وهمّتهما عن تحمّل المسؤوليّة تقلّ، لذا يحتاجا إلى مزيد من العناية والتلطّف، ورعاية شديدة سواءً في الكلام معهما أو مجالستهما أو حتّى في كيفيّة طعامهما وشرابهما ومسكنهما.

ولا ينبغي أن ينتظر الأبناء حتّى يطلب الآباء الحاجة بل الأفضل المبادرة لقضائها، ففي الحديث: **«الإحسان أن تحسن صحبتهما وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين»**[٢].

من القسوة على الوالدين عدم اهتمام الأبناء بهما بأنفسهما وتوكيل ما يسمّى بالخدم للرعاية لهما وتنفيذ ما يحتاجا، إذ الخدم بخدمتهم للوالدين لا يراعون حقوقهما التي يجب على الأبناء مراعاتها، ولن ينبع الحبّ والحنان والرحمة من الخدم كما ينبع من الأبناء.

فينبغي على الأبناء خدمة الآباء بأنفسهم وتنفيذ غالب متطلّباتهم إن أمكن، لما فيه

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ١٥٨.



من ثواب عظيم وقدوة للآخرين، وكما تُعَامِل تُعَامَل، قال إمامنا الصادق عليه السلام: «برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم»[1].

وأشدّ من القسوة المذكورة ما اشتهر باسم (دار العجزة) حيث يعمد بعض الأبناء إلى إكرام الآباء في آخر عمرهم ـ عندما احتاج الأب والأم إلى الأبناء ـ ليضعوهم في سجن اختياري بالنسبة للأبناء وجبري بالنسبة للآباء، سجن يؤدّي بالرحم إلى الزوال، ويقطع برّ الوالدين ورحمتهما وشكرهما وحبّهما واحترامهما، سجن يلغي المفهوم القرآني للوالدين، ويبطل الاحسان إليهما، لاغياً معه كل الآثار الإيجابية لذلك.

وأي إحسان للأمّ والأب إذ ابتعدا عن أبنائهم وأحفادهم وذريّتهم.

هذه البدعة والثقافة المعادية للإسلام بل للإنسانيّة يجب أن تخرج من مجتمعاتنا وأسَرِنا، بل من ثقافتنا، يجب أن يحل مكانها خدمة الوالدين وتقديرهما ورفع منزلتهما، بل ونصب تمثال لكلّ أب وأم حفاظاً على المفهوم القرآني للوالدين، وعلى التعاليم الإسلاميّة لذلك.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللّهمّ اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف...»[2].

وسوف يأتي تمام الدعاء.

❁ آثار برّ الوالدين

جعل سبحانه وتعالى للسالكَ نِعماً إضافيّة مترتّبة على الواجبات وترك المحرّمات، وما ذلك إلّا رحمة من العبادة، وهذه النِعم عبارة عن آثار تحصل للملتزم بحقوق الوالدين، إضافة إلى الثواب المترتب على فعل الواجب.

وهذه الآثار يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ آثار دنيويّة.

---

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ٣٦٧٤.

(٢) الصحيفة السجاديّة: ١٢٩.



٢ ـ آثار برزخيّة.

٣ ـ آثار أخرويّة.

١ ـ الآثار الدنيويّة المترتبة على برّ الوالدين:

ويمكن حصرها بما يلي:

أ ـ **محبّة الأهل**: فإنّ مداوة الأبناء على طاعة الوالدين ورحمتهما والإنفاق عليهما والدفاع عنهما تجعل المحبّة تزداد يوماً بعد يوم، لذا نجد أنّ الوالدين قد يفرّقا بين محبّة ولد وآخر بل قد ينجرّ ذلك حرمانه من أموالهما أو بعضها نتيجة تقصيره في تكفّل والديه وحمايتهما والإنفاق عليهما.

هذا وقد قال رسول الله ﷺ: **«تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإنّ صلة الرحم محبّة في الأهل...»**[1].

وهذا الأثر له آثار تعكس على نفسيّة البارّ ووضعه الاجتماعي، فتعطيه حالة نفسيّة قويّة من داخل أسرته وكذلك اجتماعياً، وقد أتينا على تفصيل ذلك في كتاب: فقه الأسرة وآدابها.

ب ـ عدم وقوعه في الفقر كما في رواية الإمام الصادق عليه السلام الآتية[2]، وفي رواية أخرى: **إنّ البرّ يزيد في الرزق**[3].

جـ ـ **زيادة العمر**: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: **«إن أحببت أن يزيد الله في عمركَ فسرَّ أبويكَ»**[4].

وقال رسول الله ﷺ: **«رأيت بالمنام رجلاً من أُمّتي قد أتاه مَلَك الموت يقبض روحه فجاءه برّه بوالديه فمنعه منه»**[5].

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٨٥، ح٢٥٢.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٣٤، والبحار: ٧٤/ ٦٦.

(٣) البحار: ٧٤/ ٨١.

(٤) البحار: ٧٤/ ٨١.

(٥) البحار: ٧٤/ ٨٠.



د - **زيادة النسل**: قال الإمام عليّ الهاديّ عليه السلام: **«العقوق ثكل من لم يثكل»**(١).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: **«حرم الله عزّ وجلّ عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله تبارك وتعالى والتوقير للوالدين وتجنّب كفر النعمة، وابطال الشكر وما يدعو من ذلك إلى قلّة النسل وانقطاعه لما في العقوق من قلّة توقير الوالدين والعرفان بحقّهما وقطع الأرحام والزهد من الوالدين في الولد وترك التربية بعلّة ترك الولد برّهما»**(٢).

هـ - **التوفيق للطاعة**: كما في حديث الإمام الرضا عليه السلام.

نسأل الله حسن التوفيق لطاعته والإبتعاد عن معصيته، قال الإمام الحسين عليه السلام: **«إذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»**(٣).

و - **قبول الطاعة**: كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ رجلاً قال له: ما مَن عمل قبيح إلّا وقد عملته فهل لي من توبة؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فهل من والديك أحد حيّ؟

قال: أبي.

قال صلى الله عليه وآله: فاذهب فبرّه(٤).

ز - **الله وليّه**: ففي الحديث القدسي: مَن برّ والديه كنت له وليّاً في الدنيا(٥).

ح - **العزّة والمنعة**: جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام العقوق يعقب القلّة ويؤدّي إلى الذلّة(٦).

ووجهه من الناحية النفسيّة ظاهر، إذ ضعف العلاقة مع الوالدين تُفقد الأولاد القوّة

(١) البحار: ٧٤/ ٨٤.
(٢) علل الشرائع: ٢/ ١٦٤، والبحار: ٧٤/ ٧٥.
(٣) كفاية الأثر: ٢٢٨.
(٤) البحار: ٧٤/ ٨٢.
(٥) نزهة المجالس: ١/ ١٩٨.
(٦) البحار: ٧٤/ ٨٤، وميزان الحكمة: ١٠/ ٧١٦.



والثبات والإستقرار فيبقى محتاجاً إلى مَن يكمّل له ذلك، فيعيش في المجتمع منزوياً ذليلاً لا مساند له ولا معين، ولا عشيرة تحمية وتأويه أو تسانده وتعطيه المشورة والعون عند الحاجة.

فالمنزل هو الداعم النفسي الأوّل للشاب ثمّ يأتي الأرحام والعشيرة فيما بعد.

قصة في أثر خدمة الوالدين العاجزين

ويقال أنّ الله تعالى أوحى إلى سليمان أن أخرج إلى البحر ترى عجباً، فخرج فلم يجد حتّى غاص في البحر فوجد غرفة من ياقوت وجواهر لا يدخل إليها الماء ووجد فيها شاباً حسناً يعبد الله، فسأله عن أمره فقال: كان أبي مقعداً وأُمّي عمياء فخدمتهما سبعين سنة فلمّا حضرت وفاة أُمّي قالت: اللّهمّ أطل عمره في طاعتكَ، ولمّا حضرت وفاة أبي قال: اللّهمّ استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فكانت هذه الغرفة فسأله عن طعَامه وشرابه، فقال: طير يأتيني به من رزق الله تعالى الذي لا ينسى مَن ذكره[1].

٢ ـ الآثار البرزخيّة:

أ ـ **تخفيف سكرات الموت**: قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَن أحبّ أن يخفّف الله عزّ وعلا عنه سكرات الموت فليكن لقرابته وصولاً وبوالديه بارّاً، فإذا كان كذلك هوّن عليه سكرات الموت، ولم يصبه في حياته فقر أبداً»[2].

ب ـ **الله يؤنسه في قبره**: ففي الحديث القدسي: مَن برّ والديه كنت له وليّاً في الدنيا وفي قبره مؤنساً وفي الحشر رحيماً...[3].

٣ ـ الآثار الأُخرويّة:

أ ـ **تخفيف الحساب**: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «برّ الوالدين وصلة الرحم تهوّنان الحساب»[4].

---

(١) نزهة المجالس: ١/ ١٩٩ بتصرّف.
(٢) أمالي الصدوق: ٢٣٤، والبحار: ٧٤/ ٦٦.
(٣) نزهة المجالس: ١/ ١٩٨.
(٤) البحار: ٧٤/ ٨٥.



ب ـ بناء بيت في الجنّة: قال الإمام الباقر عليه السلام «أربع مَن كنّ فيه بنى الله له بيتاً في الجنّة: مَن آوى اليتيم ورحم الضعيف وأنفق على والديه ورفق بمملوكه»(١).

جـ ـ إسكانه أعلى علّيين: قال الإمام الباقر عليه السلام: «أربع من كنّ فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى علّيين في غرف فوق غرف، وفي محلّ الشرف كلّ الشرف: من آوى اليتيم ونظر له فكان له أباً، ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه، ومن أنفق على والديه ورفق بهما وبرّهما ولم يحزنهما، ومَن لم يخرق بمملوكه وأعانه على ما يُكلّفه ولم يَستسعهُ(٢) فيما لم يطق»(٣).

د ـ نظر الله إليه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاقّ ومنان ومكذّب ومُدمن خمر»(٤).

هـ ـ قبول الصلاة: قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَن نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل له صلاة»(٥).

و ـ شمّ ريح الجنّة عن بُعد: قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنّة فوجد ريحها مَن كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلّا صنف واحد... العاق لوالديه»(٦).

ز ـ تشمله رحمة الله: كما جاء في الحديث القدسي: مَنْ برّ والديه كنت له في الحشر رحيماً وعلى الصراط دليلاً وفي الجنّة محدّثاً، يكلّمني وأُكلّمه بلا واسطة(٧).

حـ ـ يكون الله دليله على الصراط: كما تقدّم في الحديث السابق.

ط ـ يحدّثه الله في الجنة بلا واسطة: كما تقدّم في الحديث السابق.

---

(١) الخصال: ١/١٠٦.
(٢) استسعى العبد استسعاء: كلفه من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا أعتق بعضه ليعتق ما بقي منه.
(٣) أمالي الطوسي: ١/١٩٢.
(٤) الخصال: ١/٩٤.
(٥) أصول الكافي: ٢/٣٤٩، ح٥.
(٦) أصول الكافي: ٢/٣٤٨، ح٣.
(٧) نزهة المجالس: ١/١٩٨.



ي ـ جنّة يوم الحساب: كما روى عن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ أبي قد كبر جدّاً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد حاجة، فقال عليه السلام: إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقّمه بيدكَ، فإنّه جنّة لكَ غداً[١].

والجنة هنا بمعنى الوقاية من حرّ النار والعذاب.

ك ـ سيّد الأبرار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيّد الأبرار يوم القيامة رجل برّ والديه بعد موتهما»[٢].

قصة في خدمة الوالدين

يروى أنّ موسى سأل ربّه أن يريه رفيقه في الجنّة، فأمره أن يتوجّه إلى بلد كذا ليراه، فأتاه موسى وإذ هو شاب فاستضافه في منزله ـ فلمّا وضع الطعام جعل كلّما أكل لقمة جعل في زنبيل[٣] لقمتين، فتعجّب موسى فقام ونظر في الزنبيل وإذا فيه عجوزين كَبِرا، فلمّا نظرا إلى موسى تبسّما وشهدا له بالرسالة وماتا، فقال الشاب: أنت موسى رسول الله والعجوزان أبواي جعلتهما في الزنبيل خوفاً عليهما وكنت لا آكل ولا أشرب حتّى يأكلا، وكانا يسألان الله تعالى كلّ يوم أن لا يقبضهما حتّى ينظرا إلى موسى، فلمّا رأيتهما ماتا علمت أنّك موسى.

فقال له موسى: أبشر فإنّكَ رفيقي في الجنّة، وقيل أنّ دعاء أُمّه كان: اللّهمّ اجعله جليس موسى في الجنّة[٤].

❁ برّ الوالدين بعد وفاتهما

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين وميّتين: يصلّي عنهما ويتصدّق عنهما ويحجّ عنهما ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك فيزيده الله ببرّه وصلاته خيراً كثيراً»[٥].

---

(١) الكافي: ٢/ ١٦٢.
(٢) البحار: ٧٤/ ٨٦.
(٣) وهو المكتل يسع خمسة عشر صاعاً وهو الجراب والوعاء، لسان العرب: ١١/ ٣٠٠.
(٤) نزهة المجالس: ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ بتصرّف.
(٥) الوسائل: ١٥/ ٢٢٠، ح٢٧٧٠٥.



وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما، ثمّ يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقّاً، وانّه ليكون عاقّاً في حياتهما غير بارٍّ لهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله بارّاً»(١).

وزاد رسول الله صلى الله عليه وآله: «... وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلّا بهما، وإكرام صديقهما»(٢).

وفي حديث: مَن زار قبر والديه في كلّ جمعة مرّة غفر له وكتب بارّاً(٣).

أقول: ذكرت الروايتان صِلات البرّ التي بها يبرّ الولد والديه وهي:

١ ـ الصلاة لهما بعض ركعات في بعض الأوقات، فينوي إمّا أن ثواب الركعتين لهما وإمّا يصلّي نيابة عنهما وكلاهما حسن.

ويستحبّ أن يكرّر ذلك لا أقلّ كلّ أُسبوع مرّة، وفي الأماكن المباركة كمراقد الأئمّة عليهم السلام أو مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله والمسجد الحرام.

٢ ـ التصدّق عنهما ببعض المال وإن قلّ، أو ببعض الطعام أو اللباس، وإن استطاع أن تكون صدقة جارية فهو أفضل كأن يبني سبيل ماء عن روح والديه، أو يزرع شجرة يستظلّ الناس بها أو يأكلوا من ثمرها، أو يبني مسجداً، أو يشقّ طريقاً ويزفّته، أو يرسل للزيارة أو الحجّ بعض الفقراء ويهدي هذا الثواب لهما.

ويستحبّ عموماً التصدّق كلّ ليلة جمعة عنه وعن والديه حتّى ولو بألف ليرة لبنانيّة، وقد فصّلنا آثار الصدقة في كتاب مستقل: «معاجز الصدقة وآثارها».

❁ دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام لوالديه

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: اللّهمّ اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الأم الرؤوف، وأجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمآن حتّى أُوثر على هواي هواهما، وأقدّم على رضاي

---

(١) الوسائل: ١٥/ ٢٢١، ح٢٧٧٠٦.

(٢) ميزان الحكمة: ١٠/ ٧١١.

(٣) مكارم الأخلاق: ٨٣، ح٢٤٩.



رضاهما، واستكثر برّهما بي وإن قلّ، واستقلّ برّي بهما وإن كثر، اللّهمّ خفّض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي وألن لهما عريكتي، وأعطف عليهما قلبي، وصيّرني بهما رفيقاً، وعليهما شفيقاً، اللّهمّ اشكر لهما تربيتي، وأثبهما على تكرمتي، واحفظ لهما ما حفظاه منّي في صغري، اللّهمّ وما مسّهما منّي من أذى، أو خلص إليهما عنّي من مكروه أو ضاع قبلي لهما من حقّ فاجعله حطّة لذنوبهما، وعلّواً في درجاتهما، وزيادة في حسناتهما، يا مبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات، اللّهمّ وما تعدّيا عليّ فيه من قول، أو أسرفا عليّ فيه من فعل أو ضيّعاه ليّ من حقّ، أو قصّرا بي عنه من واجب فقد وهبته لهما، وجدت به عليهما، ورغبت إليك في وضع تبعته عنهما، فإنّي لا أتّهمهما على نفسي، ولا أستبطئهما في برّي، ولا أكره ما تولّياه من أمري. يا ربّ، فهما أوجب حقّاً عليّ، وأقدم إحساناً إليّ، وأعظم منّة لديّ من أن أقاصهما بعدل، أو أجازيهما على مثل، أين إذاً - يا إلهيّ - طول شغلهما بتربيتي؟ وأين شدّة تعبهما في حراستي؟ وأين إقتارهما على أنفسهما للتوسعة عليّ؟!

هيهات ما يستوفيان منّي حقّهما، ولا أدرك ما يجب عليّ لهما، ولا أنا بقاض وظيفة خدمتهما، فصلّ على محمّد وآله، وأعنّي يا خير مَن أستعين به، ووفّقني يا أهدى مَن غرب إليه ولا تجعلني في أهل العقوق للآباء والأمّهات يوم تجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون، اللّهمّ صلّ على محمّد وآله وذرّيته، واخصص أبوي بأفضل ما خصصت به آباء عبادك المؤمنين وأمّهاتهم يا أرحم الراحمين.

اللّهمّ لا تنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، وفي آن من آناء ليلي، وفي كلّ ساعة من ساعات نهاري، اللّهمّ صلّ على محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما ببرّهما بيّ مغفرة حتماً، وارض عنهما بشفاعتي لهما رضى عزماً، وابلغهما بالكرامة مواطن السلامة(١).



(١) الصحيفة السجاديّة الكاملة: ١٢٩.

فهرس الموضوعات



